17 eme Année No. 847

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

Lundi — 26 — 9 — 1949

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مصـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٤٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ ذو الحجة سنة ١٣٦٨ — ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

مشكلة واحدة وعلاج واحد !

يقولون إن مشكلاتنا الاجتماعية ثلاث : هى الفقر والجهل والمرض ... وأقول إنها مشكلة واحدة : هى الفقر وحده دون سواه ! ولا أريد بهذا القول أن ألغى وجود المشكلتين الأخريين ، ولكننى أردهما إلى المشكلة الأولى حين نلتمس موضع العلة الرئيسية ، ونضع أيدينا على موطن الداء الأصيل ، ونبحث عن الحل الموفق والعلاج الناجع . وتستطيع فى حساب المنطق السليم أن تبرهن على صحة هذه القضية حين تقول إن الفقر يدفع بأصحابه إلى مهاوى المرض وظلمات الجهل ، ولا يستقيم لك هذا المنطق إذا قلت إن الجهل وحده أو المرض وحده يقود أصحابه إلى حومة الفقر الذى لا حيلة لهم فيه !

على هذا الأساس يجب أن ننظر إلى المشكلة ؛ المشكلة التى تخص السواد الأعظم من هذا الشعب ممثلا فى طبقات الكادحين من العمال والفلاحين ؛ فهنا الفاقة التى تحول بين الفرد وبين نور العلم ، وتحول بينه وبين نعمة العافية .. وماذا يفعل الفقير إذا أراد أن يتعلم وهو موزع الفكر بين مشكلتى الغذاء والكساء ، وماذا يقدم للجسد المنهك تحت عوادى السقم وهو لا يملك ثمن الدواء ؟! فى هذه التربة الخصيبة ينثر دعاة الشيوعية بذور المبادىء الهدامة ويشيمون دعوة السوء ، وفى ساحة الفقر وحدها يركزون هجماتهم فى الظلام بغية تمهيد الطريق لحملة المشاعل ... وفى غمرة الأمانى الكاذبة والدعوة الباطلة ، يصور الفقر لأصحابه أن الدجالين قادة ، وأن المستضعفين سادة ، وأن الشياطين ملائكة ، وأن المشاعل التى وعدوا بها ستحمل إليهم الإشراق كل الإشراق ، وما دروا أن فيها الإحراق كل الإحراق !

من العجيب حقاً أن يفطن دعاة السوء إلى موطن الداء الأصيل فى مصر ، ولا يفطن إليه المسئولون ومن بيدهم الأمر جريا وراء التعلق بالروافد غافلين عن النهر الكبير ، نهر الفقر الذى يصب مياهه الملوثة بجراثيم الجهل والمرض فى أودية النفوس والعقول ... ويقولون تبعاً لذلك إن مشكلاتنا الاجتماعية ثلاث ، ولا بأس أبداً من أن نبحث لكل مشكلة عما يلائمها من علاج . وتمضى الأيام والفقر هو الفقر ، والجهل هو الجهل ، والمرض هو المرض . . لماذا ؟ لأن الخطوة الواحدة قد أريد لها أن تكون خطوات ، ولأن الجهد الواحد قد قدر له أن يصير إلى جهود ... وهكذا تشتت القوى فى شتى الميادين بدلا من أن تركز فى ميدان واحد ، ولا ضير من أن نظفر ببعض النتائج فى عدد من السنين قد يستحيل إلى عدد من القرون ! ومن العجيب أيضاً أننا لا نزال نأخذ بسياسة الارتجال فى سبيل القضاء على المشكلة الخالدة ؛ ومن هذا الارتجال أننا نحاول مكافحة الفقر والمرض والجهل عن

طريق الاستجداء وبيع أوراق اليانصيب ... فمن مشروع البر إلى مشروع الحفاة ، إلى مبرة محمد على ويوم المستشفيات ، إلى آخر تلك الأشياء التي يسخر منها منظر الملايين من المعوزين والجهال والمرضى والحفاة !

لو نظرنا إلى الأمور بمنظار الواقع لعرفنا كيف نسلك الطريق ... هناك مشكلة واحدة وعلاج واحد ، أما المشكلة فهى الفقر وأما العلاج فهو النهضة الصناعية . وبهذه النهضة نقضى على المشكلة الخالدة وتخضع من تلقاء نفسها بقية المشكلات . أما السبيل إلى تحقيق هذا الأمل الكبير فهو أن تستغل الأموال المكدسة فى المصارف كما يفعل الرجل العصامى أحمد عبود فى سبيل تلك النهضة المنشودة ، وعندئذ تنتعش الثروات التى يعيش لها أغنياؤنا وينتعش المجتمع الذى يعيشون فيه !

(أ . م)

الاستقلال فى الأدب

للأستاذ راجى الراعى

الأدب قديم يعود إلى ذلك اليوم البعيد الذى بدأ الدماغ ينسج فيه خيوطه الأولى وله دولته ذات الهياكل والأبراج والعروش وهى أعظم الدول وأضخمها وأجملها وأبعدها مدى وأغناها.

الأدب عظيم له كلمته الفيحاء الفينانة الخلابة الشاملة أتناولها فيعرض أمامى الأدب القديم مواكبه ويأتى أمراؤه الذين ضخمناهم وأطلنا قاماتهم خلال القرون ويتربعون فى ساحتى قائلين :

نحن أرباب الأدب ودعائمه وأساطينه كتبنا الآيات الرائعات واحتللنا فى قصور التاريخ أفخم القاعات وغردنا فى جنان الأدب على كل غصن فيه فلم نبق غصناً لطائر وحمنا حوماتنا فى جميع آفاق الفن واستقطرنا النجوم نجمة نجمة فلم نترك لغيرنا أفقاً ونجمة فى كأسها خمرة وحى وإلهام فما أنت كاتب بعدنا ؟ ماهذا الجنون فيك تأتى بالدواة وقد استنفدنا مدادها وتكتب المقال وترسل الآية وتؤلف الكتاب ونحن أمامك لم نبق لك جديداً ، أنسيت أن العالم قديم وأن الذين فكروا وأحسوا قبل أن ولدت جيوش لو عرضت كلها أمام عينيك لسحقتك أعواد القلم وأعماك غبار المباقرة عما أنت فيه ، لقد عصروا رأس الأدب وقلبه ولم يدعوا لك قطرة .

نحن هنا أيها الدعى المغرور ولم نمت بعد وهذه أصواتنا المدوية فى الدهور فقل ، قل أنك تردد أصداءها .

أجل ، أجل ... أن لكم ذهبكم الذى يبرق فى الأدب القديم ولكن ليس كل ما أخرجتمو للناس ذهباً ففى جواره نحاس كثير ، ولكم نفائسكم ولكن ليس ما عرضتموه فى المتاحف كل ما يمكن أن يعرض فيها ، وأنتم أغنياء فى الأدب ولكنكم لم تحتكروا الثروة الأدبية فهناك دنانير لم تضرب فى أيامكم وأسواق للأدب تعرض فيها بضاعة لم تعرفوا حريرها ... أجل ، لقد عصرتم رأس الأدب وقلبه وأسكرتم الناس ولكن خمرة الروح لم تفرغ دنانها فهى دنان الزمان الذى لا تفرغ كأسه ... أنت يا « هيجو » نسر فى الخيال عظيم ولكنك لم تحتل الآفاق كلها ولم تقو على إخضاع أثير الشعر لمشيئتك فلا يحمل غير روحك ولا يطرب لغير صوتك ... وأنت يا شكسبير لست الفن كله ... وأنت يا « روسو » لست رب النثر ... وأنت يا من نظار الأعمى إلى أدبك لست وحدك الذى ينظر إلى أدبه العميان ... أنتم ورفاقكم القدماء موجات فى بحر الأدب والفن والخيال الذى لا ساحل له ، روف وسمى لن آتيكم اليوم وغداً وبعد غد وأنا أصف هذه الشمس فى شروقها وغروبها بصورة جديدة لم تخطر لكم وأن ألبس ما أراه وأسمعه ثوباً جديداً ليس فيه خيط واحد من خيوطكم .

أن الوجوه التى أراها والأصوات التى أسمعها هى غير وجوهكم وأصواتكم ، والأدب ليس وقفاً على جيل من الناس وإنما هو مرعى للانسانية لكل أديب مفكر موهوب قطيعه فيه ... أنتم فى الأدب بشر ونحن الذين ألهناكم وأقمنا لكم الهياكل وجعلنا الكلمة لا صدى لها إلا إذا خرجت من أفواهكم .

نحن الذين خلقنا لكم وجوهاً لم يعرفها لكم معاصروكم ، لقد أقصاكم عنا تعاقب الأجيال فى لجة القدم فقام الخيال ينسج نسيجه ويلبسكم الأثواب الفضفاضة التى خاطتها الأساطير والأوهام ... أنتم أسياد فى الأدب ولكننا لا نعترف بكم طغاة مستبدين .

مدارسة الماضى :

على طريق الحملات المصرية في لبنــــــان

أيام دولة سلاطين المماليك البحرية

للأســــتاذ أحمد رمزى بك

إن الطريق الموصل بين بعلبك ومدينة طرابلس يعد أعلى طريق معبد فى الشرق الأدنى ، ويخترق مناطق من أجمل المناطق فى جبال لبنان ويمر قريباً من شجر الأرز الذى عاصر القرون الطويلة . وكلما اتجهت لزيارة هذه الجهة الخالدة واجتزت بلدتى بشرى وأهدن تواردت الخواطر تترى علىّ ، ومرّت أمامى ذكريات حوادث التاريخ ، ففى سنة ٨٨٢ هجرية قام الأشرف قايتباى برحلته المشهورة إلى أقاصى الحدود المصرية فى الشمال حيث القلاع الإسلامية فى داخل الأراضى التركية الحالية .

كان وصوله إلى بعلبك فى يوم السبت ١٩ جمادى الآخرة وغادرها الأحد وقت الظهر متخذاً طريق طرابلس مخترقاً الجبال العالية فأمضى الليل فى عقبة « ليمونة » على ارتفاع ١٩٦٠ مترا من سطح البحر . ويقول كاتب رحلة السلطان إن الطريق إليها كان وعراً وهى وسط الجبال تحيط بها أشجار الكمثرى .

ولما اجتاز العقبة اتخذ طريقه إلى الحدث (حدث الجبة) حيث صلى الصبح ومن هــذه إلى كفر قاحل ويسميها صاحب الرحلة قاهر . والطريق إليها يمر بحوالى ٣٦٠ لفته ، ثم انحدر السلطان إلى طرابلس فوصلها فى مساء الاثنين وأقام بها إلى الخميس ٢٤ جمادى الآخرة سنة ٨٨٢ .

وهذه الرحلة تعيد إلى مخيلتى الحملات التى وجهها جند مصر إلى هــذه النواحى فأنا لا أذكر للقارىء ما كتبه البطريرك اسطفانوس الدويهى عن تاريخ سنة ١٢٨٣ نقلا عن بعض كتب الصلاة عن فتح « جبة بشرى » وحصار «أهدن» كما لا أعرض لما كتبه صالح ابن يحيى فى كتابه عن تاريخ أمراء الغرب وما جاء

أن للأدب تاجاً يطمح كل أديب موهوب إلى درة فيه ، وهذا النير ، نير الأدب العتيق يجب أن نتحرر منه فليس فى الأدب أنيار وإنما فيه أنهار تتدفق من ينابيع الألهام الذى ينزله الله على من يشاء فى أى وقت شاء .

تلك هى اللغة التى يجب أن يخاطب بها أديب اليوم أديب الأمس ، إن ما نطلبه من أديب اليوم هو الجرأة فى التفكير والثقة بالقدرة على الإبداع والطموح بالعاطفة والخيال إلى آخر نجمة فى أقصى الآفاق وغمس القلم فى مداد حر ورفع البناء بحجارة جديدة فكم هو جميل أن تبنى بناءك وتقول : هذا حجوى ، وما الفائدة من القلم وأين جماله وجلاله إذا غمس فى دواة قديمة .

لقد اجتازت بنا قوة التفكير والإحساس مراحل لا تعد واتسعت عيوننا وجباهنا فتكشفت لنا آفاق لا عهد للأمس بها ووعينا ما لم يكتب للأقدمين أن يقفوا عليه وغصنا إلى أعماق الوجدان وعرضنا مواكب السماء والأرض موكبا موكبا وجئنا بالكهرباء وما وراء الكهرباء ... أبعد هذا كله نظل أتباعاً لشاعر قديم أو ناثر مفكر موهوب بيننا وبينه ألف جيل .

أن ما نطلبه من أديب اليوم هو الاستقلال فى الأدب فلا وصاية ولا انتداب للأدب القديم على الأدب الحديث .

أن الاستقلال هرم له جوانبه الثلاثة فإلى جانب الاستقلال السياسى والاستقلال الاقتصادى يقوم الاستقلال الأدبى الذى لا رقابة فيه ولا قيود .

خلقت الفكرة طليقة شامخة وولد الفن عزيزاً حراً وجمال الفكر والشعور يطلع علينا فى كل صباح ومساء بوجه جديد واللانهاية فى الآفاق هى فى الأدب أيضاً فشموسه وكواكبه وسياراته ونجومه تشع فى الدهور وما وراءها .

أن هيا كل الأدب أوفر عدداً من النجوم والرمال والأمواج ولكل منا مذبحه الأدبى إذا كان فى روحه دم يهرق فلنرفع الرأس فى معابد الأدب والخيال أحراراً مستقلين ولننفض يدنا من الخانعين المستعبدين .

راجى الراعى

فيه نقلا عن النويرى والصلاح الكتبي في فتوح المصريين لكسروان لأن العبارات الواردة في كتابه صفحة ٢٩ هي بعينها التي أوردها ابن الفرات في كتابه جزء ٨ صفحة ١٤٢ مما يدل على أنهم جميعاً ينقلون عن مصدر واحد حينما يتحدثون عن توجه الأمير بدر الدين « بيدار » قائد السلطنة بمصر ومعه العساكر المصرية وصحبته أمراء الجند بقصد جبال كسروان في شهر شعبان سنة ٦٩١ (١٢٠٢) ميلادية . وإنما اكتفى بالنوبات التي جاءت بعد ذلك وأولها الحملة التي قام بها جمال الدين آقوش الأفرم نائب الشام في عهد الملك الناصر محمد . آقوش هذا ترجم له صاحب الدرر الكامنة فقال عنه « آقش الأفرم الجركسي كان من مماليك المنصور (قلاوون) ذكر عنه أنه التمس من أستاذه ولاية الشام فأجابه السلطان « ما هو في أيامي » وذكر صاحب الدرر نقلاً عن ابن فضل الله العمرى : إن الأفرم كان يتردد على فقير مغربي بالقرافة في مصر فقال له الفقير : « ماذا تعطيني إذا صرت يوماً نائب السلطنة بالشام ، فقال الأفرم «ومن أنا حتى تسند إلى نيابة الشام» قال الفقير : لا بد في ذلك وإذا حصل هذا تصدق بألفي درهم عند السيدة نفيسة وبألف عند الإمام الشافعي»

وذكر الأفرم أنه نسى كل هـذا وفي يوم من الأيام وقد عاد هارباً من حروب غازان ملك التتار بعد نوبته الأولى وفتحه دمشق وصل القاهرة ، وبينما هو يتجول بالقرافة تذكر قول المغربي فأحضر الدراهم وفرقها في الموضعين . ويقول صاحب الدرر « كان الأفرم فارساً بطلا عاقلاً جواداً يحب الصيد وكان خليقاً للملك لما فيه من المهابة والحماية ، وكان خيراً عديم الشر والأذى يكره الظلم ولم يحفظ أنه سفك دم أحد ولا لوجه شرعي ، وكان يباشر أهل العلم كابن الوكيل[1] وكان لأهل دمشق فيه محبة مفرطة ومدحه جماعة من الشعراء» . أما هو فبلغ تلهفه على دمشق وأهلها مبلغاً جعله يقول « لولا القصر الأبيض (الأبلق) والميدان الأخضر ما خليت بيبرس وسلار ينفردان بمملكة مصر » . وهما كانان بدمشق

ولذا أقام بدمشق إحدى عشر عاماً وأنشأ بها[1] جامعه المشهور سنة ٧٠٦ الذى تولى الخطابة فيه قاضى القضاة شمس الدين محمد بن عطاء العز الأوزعى الحنفى .

ويعجبني في الأفرم هذا الود لمدينة دمشق و[illegible] المنزلة التي أوجدها لنفسه هناك حينما تولى نيابة السلطنة عن مصر في ربوع الشام وما تم على أيديه من عظائم الأمور .

ذكر صاحب البداية والنهاية أنه عقب انكسار التتار وأخلائهم لدمشق حدث[2] : في يوم الجمعة ١٧ رجب ٦٩٩ أعيدت الخطابة بدمشق لصاحب مصر . وفي يوم السبت ١٨ رجب ٦٩٩ نودى بأن تزين البلد لقدوم العساكر المصرية وفي يوم الأحد ١٩ رجب ٦٩٩ فتح باب الفرج مضافا إلى باب النصر . وفي ١٠ شعبان ، دخل الجيش الشامي وعلى رأسه نائب دمشق الأمير جمال الدين آقوش الأفرم . وفي يوم الجمعة ٢٩ شوال « ركب نائب السلطنة جمال الدين آقوش الأفرم في جيش دمشق إلى جبال الجرد وكسروان وخرج الشيخ تقي الدين بن تيميه ومعه خلق كثير من المتطوعة والحوارنة لقتال أهل تلك الناحية بسبب فساد نيتهم وعقائدهم» .

« ولما وصلوا بلادهم جاء رؤساؤهم إلى الشيخ فاستتابهم » .

وفي يوم الأحد ١٣ ذى القعدة عاد الأفرم من طريق الجبال فتلقاه الناس بالشموع على طريق بعلبك وسط النهار .

وهذه هي النوبة الأولى فلننتقل إلى الثانية :

وكان خطر التتار جاثماً على الصدور رغم انتصار المصريين في

(1) الشيخ الصدر بن الوكيل : — هو العلامة أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الإمام مفتى المسلمين زين الدين عمر بن مكى بن عبد الصمد المعروف بابن الوكيل شيخ الشافعية في زمانه ولد سنة ٦٦٥ وتوفى بالقاهرة ١٤ ذى الحجة ٧١٨ كان منزله بجوار جامع الحاكم ، درس بعدة مدارس بمصر والشام . كان يتكلم في الحديث والطب والفلسفة وعلم الكلام .

ص ٨٠ جزء ١٤ ابن كثير . النجوم الزاهرة ص ٢٣٢ جزء ٩ والمنهل الصافي وطبقات الشافعية «صاحب كتاب الأشباه والنظائر» ولد = في دمياط ودفن في تربة الفخر ناظر الجيش بالقرافة .

ومن شعره :

أنصى مناى أن أمر على الحمى ويلوح نور رياضه فيفوح
حتى أرى سحب الحمى كيف البكا وأعلم الورقاء كيف تنوح

(1) راجع ثمار المقاصد في ذكر المساجد ص ١٩٣ . ابن كثير في جزء ١٤ ص ٤٢ . هذا المسجد قائم الآن .

(2) ابن كثير ص ١٢ جزء ١٤ .

البر والبحر ورغم حروبهم ضد الأرمن في سيس ورغم أنهم فتحوا جزيرة أرواد سنة ٧٠٢ وكان بقلعة دمشق علم الدين «أرجواش» وهو من أقدر قواد مصر فصمد بالقلعة فاقتدت به بقية القلاع الشامية، ومع كل هذا اشتد الجزع وقنت الخطيب في الصلوات وقرىء البخاري بالمساجد حينما ظهرت طلائع التتار وأخيراً جاءت المعركة، أي وقعة شقحب المشهورة التي وقف فيها الناصر محمد مع خليفه الزمن، وانتصر فيها جند مصر والشام، وكان النساء والأطفال على أسطحة المنازل والمآذن يتتبعون مراحلهم وقد كشفوا رؤوسهم وارتفعت أصواتهم بالدعاء.

ومرت سنتان على تلك الحوادث فإذا بالأفرم يقوم من دمشق بقيادة حملة إلى الجبال بعد أن استراحت الجيوش الإسلامية واستعادت قوتها.

ذكر المقريزي في السلوك هذه النوبة على الترتيب الآتي:

سنة ٧٠٤ توجه شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيميه في ذي الحجة من دمشق ومعه الأمير بهاء الدين قراقوش المنصوري إلى أهل جبل كسروان يدعوهم إلى الطاعة فلم يجيبوا. فجمعت العساكر لقتالهم.

سنة ٧٠٥ سار الأمير جمال الدين آقوش الأفرم نائب الشام من دمشق في عساكرها لقتال أهل كسروان ونادى بالمدينة من تأخر من الرجال والأجناد شنق فاجتمع له نحو الخمسين ألف راجل، وزحف بهم لمهاجمة أهل تلك الجبال ونازلهم وخرب ضياعهم وقطع كرومهم ومزقهم بعد ما قاتلهم أحد عشر يوماً، قتل فيها الملك الأوحد شادي بن الملك الزاهد داوود وأربعة من الجند، وملك الجبل عنوة ووضع السيف وأسر ستمائة رجل وغنمت العساكر منهم مالاً عظيماً وعاد إلى دمشق في أربع عشر صفر ٧٠٥

***

وفي المقريزي: أن السلطان أقطع في جمادى الآخر جبال كسروان بعد فتحها للأمير علاء الدين ابن معبد البعلبكي وسيف الدين بكتمر عتيق بكتاش الفخري[1]، وحسام الدين لاجين، وعز الدين خطاب العراقي، فركبوا بالشربوش وخرجوا إليها فزرعها لهم الجبلية ورفعت أيدي الرفضة عنها.

وسنعود بعد قليل إلى هذا الاقطاع بالذات لأهميته.

ويظهر جلياً أن أهل الجبال كانوا السبب المباشر لشن الغارة على أراضيهم فقد ذكر صالح بن يحيى: في تاريخ بيروت ما يأتي عن النوبة الثانية نقلا عن النويري:

« كان أهل كسروان قد كثروا وطغوا واشتدت شوكتهم وامتدوا في أذى العسكر عند انهزامه من التتر سنة ٦٩٩ (١٣٠٠ ميلادية) وتراخى الأمر عنهم وتمادى وحصل إغفال أمرهم فزاد طغيانهم وأظهروا الخروج عن الطاعة واعتزلوا بجبالهم المنيعة وجموعهم الكثيرة وأنه لا يمكن الوصول إليهم ».

وهكذا يتضح أن الفوضى عمت جبال كسروان وأن الاعتداء حصل على الجيش عند تراجعه من حملة التتار الأولى قبل موقعة شقحب، وفي ذلك يقول أبو الفداء وهو معاصر أنه على أثر حملة الأمير أقوش الأفرم ٧٠٥ طهرت تلك الجبال الشاهقة بين دمشق وطرابلس، وأمنت الطرق بعد ذلك، وهذا يفسر اجتياز هذه الطرق بالذات بواسطة السلطان قايتباي بعد قرنين تقريباً من الزمن حينما اشتدت الحوادث بين مصر من جهة ودولة حسن الأكبر « اوزون حسن » ثم مع بني عثمان من بعده وذلك للتأكد من أمن الطرق إذا قدر للجيوش المصرية أن تتراجع فلا تهاجم من الخلف.

ويستمر صالح بن يحيي يحدثنا فيقول:

في ذي الحجة ٧٠٤ جهز إليهم (أي أهل كسروان) جمال الدين آقوش الأفرم نائب الشام زين الدين عدنان ثم توجه بعده تقي الدين (ابن تيميه) وقراقوش وتحدثا معهم في الرجوع إلى الطاعة فما أجابوا إلى ذلك فعند ذلك رسم بتجريد العساكر إليهم من كل جهة وكل مملكة من الممالك الشامية ».

وهذه العبارة نقلها البطريرك اسطفانوس الدويهي في كتابه وأخذها منه المطران الدبس في كتابه مشيراً إلى أن الأفرم أمر الجبليين أن يصلحوا شؤونهم مع التنوخيين (أي أمراء الغرب في لبنان حلفاء المصريين) وأن يدخلوا في طاعتهم فلم يحصل اتفاق

---

(١) لما قتل الملك المنصور لاجين أجمعوا على سلطنه الفخري فامتنع وأشار بعودة الملك الناصر محمد بن قلاوون ص ٢٤٤ النجوم الزاهرة

فافتى العلماء حينئذ بنهب بلادهم لاستمرارهم على العصيان ولذلك جردت العساكر من جميع بلاد الشام ولم تزل الجموع تزداد من كل ناحية .

وفي كتاب صالح بن يحيى: أن أقوش الأفرم توجه من دمشق بسائر الجيوش في يوم الاثنين ٢ المحرم سنة ٧٠٥ (وهو ما جاء في ابن كثير ص ٣٥) وجمع جمعاً كثيراً من الرجال نحو ٥٠ ألفاً وتوجهوا إلى جبال الكسروانيين ، وتوجه سيف الدين أسندمر نائب طرابلس ، وشمس الدين سنقرجاه المنصورى نائب صفد ، وطلع اسندمر المذكور من جهة طرابلس ، وكان قد نسب إلى مباطنتهم فجرد العزم واراد بجهاده في هذا الأمر أن ينفي عنه هذه الشناعة التي وقعت به ، فطلع إلى جبل كسروان من أصعب مسالكه واجتمعت عليهم العساكر واحتوت على جبالهم ووطئت أرضا لم يكن أهلها يظنون أن أحدا يطأها ، وقطعت كرومهم وأخربت بيوتهم وقتل منهم خلق كثير وتفرقوا في البلاد واستخدم اسندمر جماعة منهم في طرابلس بجامكيته وخزائنه من الأموال الديوانية فأقاموا على ذلك سنين . وأقطع بعضهم (أخبازاً)[1] من حلقة طرابلس واختفى بعضهم في البلاد واضمحل أمرهم وخمل ذكرهم »

وينقل المطران يوسف الدبس رئيس أساقفة بيروت المارونى عن ابن الحريرى وابن سباط « أنه في يوم الاثنين ثاني محرم سار آقوش الأفرم نائب دمشق بخمسين ألفا بين فارس وراجل إلى جبل الجرد وكسروان التي حيال بيروت . فجمع الدروز رجال الجرد وكانوا عشرة أمراء بعشرة آلاف مقاتل والتقت الجموع عند عين صوفر وجرى بينهم قتال شديد وكانت الدائرة على الأمراء فهربوا بحريمهم وأموالهم وأولادهم ونحو ٣٠٠ نفس واحتموا في غار غربي كسروان يعرف بمغارة نيبية فوق أنطلياس بالقرب من مغارة البلانة فدافعوا عن أنفسهم ولم يقدر الجيش أن ينال منهم ثم بذلوا لهم الأمان فلم يخرجوا فأمر نائب الشام أن يبنوا على الغار سداً من الحجر والكلس وهالوا عليه تلاً من التراب وجعلوا الأمير قطلو بك حارساً عليهم مدة أربعين يوماً حتى هلكوا داخل الغار .

وفي أسباب هذه النوبة يقول صاحب كتاب أخبار الأعيان في تاريخ جبل لبنان أن أهل كسروان والجبال قتلوا أميرين من التنوخيين حين تعرضوا العساكر الإسلامية في واقعة جبيل .

وأن نائب الشام آقوش الأفرم أراد حقن الدماء وبعث الشريف زين الدين بن عدنان للتوسط في الصلح بين الأمراء التنوخيين وخصومهم فلم يقبل هؤلاء » .

هذه صفحة أولى لتلك الحملات وسنرى كيف أثرت في تاريخ لبنان وعلاقات أمرائه مع مصر الإسلامية التي خاضت أشد الحروب هولا و كتبت أعظم ملاحم التاريخ .

(يتبع) **أحمد رمزى**

(١) جاء في ص ٣٣ تحقيق الأب لويس شيخو أخبار وصحته ما يذكر (أخبازاً) :

صور من الحياة :

ربة الشاطئ ...

للأستاذ كامل محمود حبيب

يا ويح قلب ينبض بالحب والهوى ويخفق بالصبا والغرام على حين قد جاوز سن الطيش وطوى أيام العبث ! ولكن ماذا عسى أن يضير المرء إن هو نفض عن نفسه أغلالها ساعة من الزمان ليستمتع برواء الحياة ورونق العمر ، هناك على سيف البحر ، حيث تضطرب الدنيا بالجمال والمرح وتموج الأرض بالشباب والحركة ؟

لشد ما راع صاحبي أن أستمرئ الوحدة وأستعذب الخلوة فأقضي صدر يومي وحيداً في ناحية من الشاطئ ، أستروح نسمات البحر في شغف ولذة ، وأنشق عبير الحياة في هدوء بعيداً عن نزوات الشاطئ ومباذله ، وأنطوي على نفسي أحدثها حديث عقلي حيناً وحديث قلبي حيناً آخر ، ثم أوفق خواطري بين أضعاف كتاب اخترته رفيقاً لي . ولشد ما آذاه أن ألصق في مكاني لا أريم إلا حين تدعوني حاجات الدار أو رغبات الابن أو شهوة البطن .

وإنه لنزّاع إلى اللذة وصاحبي فتى عذب تتدفق الحياة في قلبه مرحاً وسعادة ، وتتألق الدنيا في ناظريه حبوراً ودعة ، تجذبه الفكاهة ويستخفه الطرب ، لا تشغله الزوجة ولا يرهقه الولد ولا تثقله الدار .

وعجب صاحبي أن أفزع من حر القاهرة لأتخذ خلوة على الشاطئ ، فأراد أن يستشف ما وراء ... وحاول — مرات ومرات — أن يكشف عن سر صاحبه — أنا — وإنه ليرى فيه شغل البال وقلق الضمير ، فما كان ليظفر مني إلا بنظرة خاطفة أو كلمة عابرة ثم يضيق بي فينطلق من لدني ليتسكع على الشاطئ أو ليسبح في البحر أو ليملأ ناظريه من جمال الأجسام العارية الملقاة على الرمال .

ولكن صاحبي كان ضيق الصدر قليل الصبر فأصر على أن ينفذ إلى سر نفسي — كزعمه — في لباقة ومكر ، فجلس إلىّ يحدثني قائلاً : هلا حدثتني عن بعض ما يفدحك ؟ « قلت » يفدحني ؟ يفدحني أنا ؟ ماذا بك ؟ « قال » أملك جئت إلى هنا تريد أن تدفن همومك في رمال الشاطئ أو تطمع في أن تغرقها في لجة اليم ! فقلت له مقاطعاً « على رسلك ! يا صاحبي » ولكنه استمر في حديثه لا يعبأ : فلما أعجزك أن تفعل جلست في ناحية تبدئ فيها ثم تعيد فعميت عن أن ترى هنا غير خواطرك السود وتفهم الشاطئ والبحر معاً وتسدل بينك وبين الحياة ستراً ثقيلاً « قلت » ها ... ها ! وَيْ كأنّ حاجة في نفسك دفعتك إلى أن توهمني بأن أعباء تثقلني لتبلغ غاية في نفسك ! « قال » فما بالي أراك ساكتاً في هموم تنضم على خطرات قلبك وتنطوي على دفعات نفسك تغضي الطرف عن الدنيا في قناعة وتكبت القلب عن المتعة في زهد ومن حواليك بسمات الشاطئ تتكشف عن نشوة ولذة « قلت » وماذا عساي أن أفعل وأنا من ترى ؟ ثم أشرت إلى شعرات بيض تلمع في فودي . فقال « أرى ؟ أرى ؟ » ثم جذبني وهو يضحك في سخرية ويقول « أراك شاب القلب واليد واللسان ! »

وألقيت السلم إلى صاحبي وفي رأيي أنني أهرب من سجني ... من المظلة والكتاب ، وخُيِّل إليّ أن المظلة هي سجن جسمي وأن الكتاب هو سجن عقلي ، فانطلقت إلى جانبه .

واندفع صاحبي ينشر أمامي تاريخ قلبه منذ أن فزعنا من لظى القاهرة إلى ربيع الاسكندرية ، ومنذ أن انطلق هو على سنته تدفعه حرية الشباب والعزوبة ، وجلست أنا تحت المظلة تقيدني أغلال الزجولة والأسرة . وقال فيما قال ... : ورأيت هنا ربة الشاطئ ، وهي فتاة أشربت روح الخمر ، في جسمها نشوة ، وفي عطرها سكر ، وفي نظراتها سحر ، هي زهرة الشاطئ اليانعة وجماله الخلاب وروحه الرفافة ، وهي ... « فقلت مقاطعاً » كفى ! لقد أصبحت شاعراً وعهدي بك بليد اللسان بليد العاطفة . ولا عجب ، فالشاطئ الآن — في ناظريك — بلد ألف ربة « قال » لا تعجب فسأريكها .

وأقبلت ربة الشاطئ تتهادى في رقة وتخطر في دلال فتعلق بها بصري ما يطرف ، ورأيت فتاة تشع جمالاً يعصف بالقلب ويعبث بالفؤاد ، وهي تسير الهوينى في تبّان أنيق حاكته يد صناع فبدت عليه سمات الذوق السليم والفن السامي ، وإنه ليكشف عن فتنة يقظى ويواري فتنة نائمة ، وإن نسمات البحر الهادئة تداعب شعرها الذهبي المرسل فيضطرب على كتفيها ويداري صفحة خدها الأسيل حيناً ويكشف منها حيناً فتتراءى الروعة والبهاء

من خـلاله . ورأيت في نظراتها عزوفاً عن التطلع وفي مشيتها كبرياء الأنفة وفي حركاتها امتهاناً للنظرات النهمة وفي أذنيها وقراً من كلمات الإعجاب والملق ، كأنها تعيش في عالمها هي ... عالم الجمال والسـحر والفتنة ، عالم السمو الترفع والصلف . ومرّت بي فأحسست بقلبي يعربد بين ضلوعي في شدّة وعنف ويتشبث بها في إصرار وعناد فوهى ما اشتدَّ من عزمي وحطم ما تماسك من قوتي ، وحاولت عبثاً أن أصرف عنها خواطري لأن قلبي كان قد علقها على حين غفلة مني . ورأيتني أندفع خلفها ، بالرغم مني ، وأنا أجرُّ صاحبي خشية يبتلعها الجمع الزاخر على سيف البحر .

وانتحت ربة الشاطئ مكاناً قصياً في منأى عن أمواج البشرية المتلاطمة على سيف البحر عسى أن تسكن ساعة إلى نفسها . وهناك ، نزلت إلى البحر ثم اندفعت بين طيات الماء تصارع الموج في عزيمة لا تخشى نصباً ولا رهباً .

وفي صباح اليوم التالي شهد الشاطئ أمراً عجباً ، شهد هذا الرجل الذي ظلّ أياماً طوالاً يعيش في ثنايا فلسفته ، ينطوي على نفسه ويسكن إلى كتابه وحيداً تحت مظلة لا يمل الوحدة ولا يأنس إلى رفيق ... شهده — لأول مرّة — يذرع الشاطئ في تبّانه وبرنسه ونظراته زائغة ما تستقر وعقله قلق ما يهدأ وفؤاده مضطرب ما يسكن .

وحين اندفعت ربة الشاطئ إلى البحر — كدأبها — اندفعت أنا من ورائها أغالب الموج وأنا أحس بفورة الشباب تتدفق في عروقي وتدفعني — في حرارة — إلى غاية . وشعرت الفتاة بي وأنا أتأثرها في خفة وصمت فنظرت فارتاعت — بادئ ذي بدء — ولكن حديثي بعث في نفسها الرضا والطمأنينة ، فانطلقنا معاً جنباً إلى جنب لا أستشعر الكلال ولا أحس التعب

وعدنا إلى الشاطئ صديقين جمعتنا أمواج البحر على الصفاء ساعة فيها لذة القلب وسعادة العمر ، عدنا لنتلاق — بين الحين والحين — على ميعاد .

وأحسست بالسعادة تتسرب إلى قلبي وبالهدوء يتدفق في فؤادي وبالنشاط يتألق في عروقي وبالشباب يفعم روحي ، وانطوت أيام ...

لك الله يا صاحبي ! لقد جذبتني من خلوتي لأكون صديق روحاتك ورفيق غدواتك ، ففقدت في الصاحب والرفيق حين دفعتني إلى الفتاة التي سحرتك .. إلى ربة الشاطئ .

وعز على صاحبي أن تستشعر الدار فقدي ، وهو من ذوي قرابتي الأدنين ، وأن يحس هو مني الإهمال وإنه لذو دالة علي ، فجاء يشكوني إلى نفسي . وأصغت إلي حديثه بأذني وقلبي هناك . هنـاك عند الفتاة التي صرفتني عن الزوجة والابن والدار جميعاً .

وبدا لعينيه أن الفتاة قد سـيطرت على مشاعري فغدوت مسلوب العقل مختلب اللب لا أجد النور إلا من خلال نظراتها الساحرة ولا ألمس السعادة إلا في نبرات صوتها الموسيقي ولا أحس الدفء إلا إلى جانبها ، فأراد أن يبلغ غايته من بين خفقات قلبي ، فقال : « لقد شغلت — منذ حين — عني وأنا أطمع أن أظفر ببعض وقتك لأصحبك في نزهة جميلة » قلت في جفوة « أي نزهة تريد؟ » قال « نقضي معاً سهرة الليلة في كازينو كذا » قلت « ولكنني أمقت السهر لأنه عناء ينفث العلة في الجسم ويبذر الضعف في الشباب ويلد الخبل في العقل » قال « إنك ولا ريب تحتال لتضنّ عليّ ببعض فراغك ، وأنا منك من تعلم » ثم نظر إلى نظرة فيها الرجاء والاستعطاف رق لها قلبي فما استطعت أن أرفض طلبته .

وهناك في الكازينو شملني جو المرح وسيطرت على روح البهجة فرحت أنا وصاحبي نعبث في هدوء ونسخر في أدب ونضحك في رقة . وعلى حين فجأة قال لي صاحبي وهو يشير إلى المسرح « انظر ، ما أجمل هذه الراقصة ! » ونظرت ... نظرت فإذا الراقصة هي فتاتي ... هي ربة الشاطئ .

وأصابتني الدهشة والذهول لما رأيت . إنها راقصة من بنات الهوى تنفث السم في قلوب الناس لتسرق الرجل من رجولته وماله وتستلب الزوج من زوجته وأولاده . إنها عون الشيطان يريد أن يهدم الدار ويشتت شمل الأسرة .

وهدني الحزن لما رأيتها — بعد حين — تتنقل بين موائد الشباب والشيوخ على السواء كذبابة خمصانة بها نهم فهي تسقط فلا تسقط إلا على القذر والنتن . وأوشك الأسى أن يعصف بي لولا صبابة من رجولة ما تبرح تتأجج بين ضلوعي .

وانطلقت إليها وفي نفسي ثورة مكفوفة ، ورحت أهزها في عنف وأحدثها في كمد ثم دفعتها عني وأنا أناديها وداعاً ... وداعاً ، يا ربة الشاطئ » .

يا ربة الشاطئ ! إن حب الابن في قلب الرجل فوق حبك ، وإن هوى الزوجة فوق هواك ، وإن راحة الدار فوق رغباتك ! فوداعاً ... وداعاً يا ربة الشاطئ .

كامل محمود حبيب

أبو خليل القباني

باعث نهضتنا الفنية وأثر رحلته إلى الديار المصرية

للأستاذ حسني كنعان

— ٥ —

كان هبوط القباني مصر في عهد ساكني الجنان المغفور لهم : (الخديو إسماعيل والخديو (توفيق) والخديو (عباس)) وكان هؤلاء يعطفون عليه عطف بعض ولاة الشأم ويشجعونه حتى بلغ من شدة عطف الخديو توفيق عليه أنه طيب الله ثراه ونضر ضريحه كان له في مسرحه حجرة خاصة يؤمها كلما لفست نفسه وتاقت لمشاهدة فن هذا النابغ السوري العظيم .

ومما حببه إليه أن مدة إقامته الطويلة في مصر صادفت هذا العهد التوفيقي الذي كتب له فيه النجاح والفلاح .

ولقد اشتهر نابغتنا في هذا العهد وفي هذه البلاد التي تعرف قيمة الفن وأربابه نال شهرة فائقة لا تقاس بها شهرته في وطنه حتى غدا مسرحه في برهة وجيزة كعبة القصاد وقبلة أنظار عشاقه . وكانت شهرته في سورية مقتصرة على هذا المحيط الضيق ، أما هنا فلقد طارت شهرته في كافة أقطار العالم وأصبح بهذا مغنا عالميا عرف له أهل الخبرة من الفنيين المتكسبين من هذه الصناعة والمتلذذين قدره ولزموا مجالسه — وأقبلوا على مسرحه إقبالاً رائعاً إن دل على شيء فإنما يدل على مقدار عظمة مصر وتقديرها للنابغين ، فأخذ عنه الكثيرون منهم وتتلمذوا عليه — وناصروه وآزروه فانتعشت بذلك آماله وتجددت همته فأرى أبناء الوادي من عظيم فنه وخوارق مواهبه ما صيره موضع الإكرام والإجلال بينهم ، فنسى بهذا أيامه السود التي مرت عليه في الشام مجفوا من السلطان ومنبوذاً من الأهل والخلان) . وكان (عبده الحولي) المغني المعروف والمطربة المبدعة (ألماظ) لا يتورعان عن حضور حفلاته ولا يبخلان على الجماهير بعرض بعض أدوارها وقطعاتهما الموسيقية والغنائية في فترات فصول رواياته ، ولهذا كان مسرحه يحوي العبرة والعظة في التمثيل والفن والطرب والإبداع في التغني والإنشاد ...) وهنا أراني ملزماً بإثبات بعض ما ورد عنه في كتاب الموسيقي الشرقي لأحد تلاميذه المرحوم (كامل الخلعي) من وصف عام شامل يدرك القارىء منه مقدار المكانة الفنية الرائعة التي كان يتمتع نابغتنا بها في مصر ومقدار تقدير المعاصرين له . قال بالحرف الواحد ما نصه .

فكان مسرحه مورداً عذباً يؤمه الكبراء والأمراء والشعراء والأدباء لمشاهدة رواياته وجلها من منشآته لما جمعت بين جزالة الألفاظ وعذوبتها ورقة المعاني ودقتها — أرهفت نواحيها بالتهذيب ، وطرزت حواشيها بكل غريب — شهد لحسنها الكثير من أهل البلاغة ومنتقي صناعة الصياغة كما شهد من قبل أكابر الموسيقيين وفطاحل الملحنين — وكان بعد انتهاء كل رواية يلقي من القطع الموسيقية شذوراً تنزو لها الأكباد ، ويتحرك لحسن وقعها الفؤاد ، حتى أحرزت مصرنا من إقامته فيها فنوناً جزيلة وفضائل جليلة يقدرها حق قدرها أولو السجايا الحميدة والعقول الحصينة — ولا ينكرها إلا ذوو الأغراض السافلة السخيفة اه) .

هذا وقد أفرد له تلميذه بحثاً خاصاً ذاكراً فيه مزاياه الفنية والأدبية والأخلاقية والعلمية يراه القارىء في تراجم عظماء الموهوبين من رجالات الفن على الصفحة (١٣٧) من هذا الكتاب التي أشرت إليه آنفاً ونقلت عنه هذه الفقرة من الترجمة مدللاً بها على صحة ما أوردته من تقدير هذا النابغ في مصر العزيزة وهي غيض من فيض ما كتب عنه في هذا الفصل يراه الباحث المنقب الذي يريد أن يعرف عظمة القباني يومئذ في ربوع النيل السعيد ، وقد عرف عن الشيخ سلامة حجازي أنه كان يحضر رواياته وهو فتى حدث لم يبلغ الحلم بعد فلفت نظر القباني هذا الفتى الدائم على مشاهدة رواياته كل ليلة فسأل عنه فقيل إنه منشد حدث ينشد في الأذكار والموالد يدعى سلامة حجازي فدعاه لإسماعه فأسمعه إياه فسر به كل السرور وتنبأ له بمستقبل باهر وصيت بعيد . ولقد صدقت نبوءة القباني فيما بعد وأرتنا الأيام أن الشيخ سلامة أمسى نابغة عصره في فنه وأن الزمان قل أن يجود بمثله في عصر ضن بالأصوات الكاملة التي تشبه صوته ، ولا بد أن يكون الشيخ سلامة بهذه المداومة على رواياته كل ليلة قد أخذ عنه الكثير من

أصول التمثيل والفن وتتلمذ عليه لأن هذا الفن كان مجهولاً لدى المصريين كما أن أولاد عكاشة عبد الله وأخويه كانوا من تلاميذه الداومين ، وعبد العزيز خليل وكامل الحلمي كانا من أنبغ تلاميذه المقربين إليه . وأول من ساعده في عمله من المصريين « أنطون فرح » اشتغل في جوقته بحديقة الأزبكية . ولما طبقت شهرته الآفاق طلب للذهاب إلى معرض (واشنطون) ليعرض بعض رواياته ، وقطعاته الفنية فيه ، فأبحر مع أفراد فرقته إلى الدنيا الجديدة وكلهم أمل وغبطة لإطلاع زوار المعرض على الذكاء العربي ومقدار ما وصل إليه فنه — بيد أن الدوار الذى اعتراه في طريقه جعله يعدل عن السفر فعاد أدراجه من إيطاليا إلى القاهرة وسافر أفراد فرقته وحدهم إلى (واشنطون) وعرضوا على زواره بعض فصول من قطعاته الموسيقية وبعض روايات كانت موضع تقدير القوم وإعجابهم هناك .) ورأى نابغتنا بعد عودته من إيطاليا أن ينقل مسرحه من الأزبكية إلى قرب دار (الأبرا) الملكية ففعل . وبعد مدة من الزمن احترق مسرحه وعاد الشؤم والنحس يصحبانه من جديد ، وكان قد انتشر هذا الفن في ربوع النيل و كشفت غوامضه مما أهاب بصاحبنا أن يهجر القاهرة لتفرق أفراد جوقته وقلة ذات يده ويؤم الأرياف متكسباً مع بعض أفراد جوقته المتخلفين عن السفر إلى (واشنطن) فزاول العمل مدة في الأرياف ثم قل العمل وتاقت نفسه للعودة إلى بلاده التي دفن فيها أحلامه .)

وحبب أوطان الرجال إليهم   مآرب قضاها الشباب هنالكا

وفي نزوة من نزوات النفس الأمارة وموجة من موجات الشوق المبرح المضني عاد القباني إلى دمشق بعد أن نشر رسالة الفن في القطر الشقيق ، وكانت الحال قد تبدلت في وطنه ومات من مات من عشاق فنه ورواد مجالسه ، وهلك من هلك من حساده ومناوئيه . وكان الشيب يومئذ قد أشعل رأسه وكلل جبينه بهالة بيضاء من نور الشيخوخة والوقار فلم يجد في نفسه الهمة الفتية والكفاءة للقيام بأي عمل فني فأقام في دمشق مدة كان معتزلاً العمل خلالها زاهداً في بيته منقطعاً إلى صلاته ونسكه حتى أتاه رسول أحمد عزة باشا العابد) يدعوه باسمه للشخوص إلى الآستانة ليمهد له سبل المثول بين يدى الذات الشاهانية ، فتجددت عزائمه بهذا الطلب وعاد الأمل يداعبه من جديد وقد نسي أن لكل زمان دولة ورجالاً ، وقد هتف به هاتف من نفسه أن يعتذر عن هذه السفرة ؛ بيد أن شبح (البوسفور) وآفاته التي تبتلع أشلاء الضحايا مثل أمامه ودفعه إلى إجابة الباشا إلى طلبه ، وفور وصوله الآستانة استقبل من قبل الحاشية استقبالاً فخماً وحل ضيفاً على الوزير النابه صاحب الدعوة ، وكان يتقن اللغتين التركية والفارسية فبقى هناك ضيفاً يتمتع بعطف مضيفه مدة من الزمن حتى احتال الوزير الداهية على المليك بوعد لمقابلة القباني ، وكان من شروطها الدخول على السلطان وهو محنى الرأس ومطرقاً إجلالاً وإكباراً مقبلاً الأعتاب بين يديه ، وهي مراسيم كانت تطبق على كل من يريد المثول أمام هذا الطاغية الجبار ، ومن يخالفها لا يكتب له الحظوة بهذه المقابلة . وعندما عرضت على صاحبنا القباني رفضها بشمم وإباء قائلاً : أنا رجل نسيج وحدى لا أحني رأسي لغير خالقي الذى يميتني ويحييني ويطعمني ويسقيني وبيده ضري ونفعي؛ فإن شئت يا سيدى الباشا أن تكون مقابلتي لمولاى المعظم كمقابلتي لكل إنسان آخر من الناس فعلت ، وإن أبيت إلا هذه الشروط فاعفني من هذه الزيارة التي فيها الذلة والمهانة) .

فلم يكد الباشا يسمع من صاحبه هذه العبارات حتى كاد يجن لشدة ما عراه من الغضب والحنق ، فغض الطرف عن هذه الزيارة ثم صدف القباني عنه قائلاً أرجوك رجاء حاراً ألا تذكر ما دار بيني وبينك من حوار إلى أي مخلوق لئلا يصل ذلك إلى مسامع السلطان فتكون الطامة الكبرى علينا نحن الإثنين ، كما أني آمرك أن ترحل من هذه الديار على الفور دون أن يشعر بك إنسان ، وقد خصص له بعد سفره معاشاً من خزينة الدولة يكفيه هو وأفراد أسرته .

بقى القباني يتقاضى في دمشق هذا الراتب منحة من الوزير المشجع لكل موهبة حقبة من الزمن كان فيها معتزلا الناس إلى أن اختاره ربه إلى جواره ، فانطفأت بانقضائه تلك الشعلة الفنية التي أضاءت النور للشرق عامة ونفذ إشعاعها إلى ديار الغرب ، وكانت السبب في انبعاث هذه النهضة الفنية التي قامت في ربوع الشام والنيل والتي لا يزال أثرها ماثلا للعيان يذكرها أبناء هذا الجيل والأجيال القادمة كابراً عن كابر) ...

وكانت وفاته في دمشق سنة ١٣٢٠ هجرية ودفن في مقبرة الباب الصغير. فقضى كما يقضي عظماء الرجال دون أن يترك لأسرته من بعده سبداً ولا لبداً ولم يبق لأسرته سوى بيت للسكن تقطنه الآن ابنتاه الكهلتان. ومما يجدر ذكره هنا في هذه الترجمة إقراراً بالجميل أن معاشه ظلت ابنتاه تتقاضيانه حتى موت الوزر المايد ولم ينقطع عنهما إلا في عهـــد زوال الدولة العثمانية وظهور الدولة الكمالية.

هذا ما بدا لي أن أكتبه خدمة للتاريخ والحقيقة عن القباني المثل راجياً أن تتاح لي فرصة أخرى وأكتب نبذة عن القباني الموسيقى الملحن الذي أضاف إلى رقصة السماح نوعاً آخر في هذه الرقصة وهي الإيقاع بنقـل الأرجل وتقديم الصدر وتأخيره في جولات الرقص. ولهذا النابغ موشحات وقدود وأما ديع نبوية لا تزال متداولة بين المنشدين في مسجد بني أمية ومافتئت مستعملة حتى الآن يتبارى بها أرباب هذه الصناعة في حفلات الأذكار — وفي المساجد في ليالي رمضان وغيرها من الأيام المباركة كليلة النصف من شعبان وليلة القدر وغيرها وسنفرد لهـذا البحث صفحة خاصة.

حسني كنعان

برلمـــان الأقلام

للأســـتاذ عمر عودة الخطيب

بعد أن امتحن العرب تلك المحنة القاسية بفلسطين، فكانت لهم — وا أسفـاه — نـكبة ومأساة، شطرت الأمة العربية أشطاراً متناحرة، ودولاً متنافرة، وقضت على شعب كريم بالتشريد والفناء، وألقت به منبوذاً بالعراء، يقاسي مرارة المهانة وألم الحرمان، وينتظر رحمة الضمير الأوربي في مؤتمر (لوزان)، بعد هذا كله انصرفت الأقلام عن الكتابة في موضوع فلسطين، وآثرت أن تجنح إلى الراحة، وتثاءبت على أوراق الكتاب، أوعاد بعضها سيرته الأولى، يكتب مالا غناء فيه، ولا طائل تحته، ولا جدوى منه مما لايمس أدواء الأمة الخطيرة، أو يصور مآسيها الدامية، ونكبتها اللاحقة ... وكأن فلسطين — إبان المعارك فيها — كانت لبعض الأقلام الفاترة، رفداً أنقذ هامن مسغبة، وأحياها من موات، ذلك لأن من خطل الرأى وفساد الذوق — ولا شك — أن تشغل (فلسطين) الدنيا كلها، والعالم العربي خاصة، ثم لا تشارك أقلامهم الناس فيما هم فيه، ولا تبض — على الأقل — ببعض كلمات، تنير السبيل، وتبصر الضال، وتهدي الحائر ... وكأني بهؤلاء كانوا يضيقون ذرعاً بهذا الموضوع الذي طال الكلام فيه، والجدل حوله، فكانوا — كما أحسب — يتلمسون منه خلاصاً، فلا يجدون منه مناصاً، حتى إذا ما انقطع زئير المدافع، ودوى النسور، وأذعن العرب لهذه (الهدنة) المقوتة، هادنت أقلامهم هذه الموضوعات ورجعت إلى الشواطيء والحانات، تصف الأجساد العارية، والأقداح الدافقة، والرقص والابتذال، ومسابقات الجمال ... ولولا أن (الرسالة) الغراء تنقل إلينا بين فترة وأخرى، بعض المقالات الرائعة في هذه الموضوعات الحية، من كتاب مجيدين، وأدباء يقظين، لأوشك القارىء العربي أن تنظم محنته، وتكبر بليته، فيرى اسم (فلسطين) يحتضر — الآن — على أسنة الأقلام، كما احتضر — من قبل — على ألسنة بعض الحكام.

ذكرت هذا حين قرأت ذلك المقال الرائع (البرلمان الشعوبي العربي والاستعداد للحرب مع اليهود)(١) للأستاذ نقولا الحداد، عاد بي إلى مقالات مضت، وأبحاث غبرت، وكلمات قيمة نشرت، للأستاذ الفاضل، ولأستاذنا الجليل (الزيات) ولغيرهما من أعلام البيان، ورجال الفكر ... وعلى الرغم مني قارنت بين الأمس واليوم فألفيت بالأمس النابر شعوراً دافقاً، وحماساً لاهباً، أحيا العزائم، وأيقظ المشاعر، وكان له — فيما أرى — أثر بالغ في توجيه الأنظار، وتنبيه الأفكار.

أما اليوم فإننا — نحن شعوب العرب — بحاجة إلى أن نضم إلى إعدادنا الحربي والسياسي، وإعداداً فكرياً شعورياً آخر، يصور لنا — بصراحة تامة — عوامل انخذالنا، وأسباب انهزامنا، كما يصف لنا عدونا كما هو بشره المستطير، وخطره الوبيل، ومكائده وأباطيله ومطامعه من الفرات إلى النيل، حتى يدرك كل عربي معركة الغد، فيأخذ لها أهبتها، ويعد لها عدتها،

---

(١) في العدد ٨٣٦ من الرسالة.

لئلا يقع في المستقبل ، — كما وقع بالأمس — صريع الغفلة والجهالة ، والضعف والاستسلام .

إذا أبى علينا — فيا ممنى — طغيان أعدائنا من أوربيين وأمريكيين ، واستسلام إخواننا وأبناء عمنا من السادة اليعربيين ، أن نمضى فى جهادنا ، ونثار على نضالنا ، ونتيح للشباب الظامىء المتوثب ، أن يروى ظمأه من دماء اليهود ، وينقع غلته فى الأرض المقدسة ، بلن يصل طغيان أولئك واستسلام هؤلاء ، إلى الأقلام الحرة ، فعليها أن تجدد حملتها ، وتعيد كرتها ، فتوقظ النائمين ، وتفضح الخائنين ، وتحيى فى نفوس الشباب تلك النزعة التى أوهنها الصدمة ، وتذكى بين جوانحهم تلك الجذوة التى أخمدتها النكبة ، وذلك الحماس الذى أذهله مكر الماكرين وشله بغى الباغين . نعم نريد من هذه الأقلام — وهذه إرادة الشباب — أن ترأب الصدع ، وتجمع الشمل ، وتلم الشعث ، وتدفع فى تيار من الحياة جديد ، ذى قوة ومراس ، ورجولة واحتراس ، هذه القافلة التائهة وهذا الموكب الحائر ... وليس أجدى علينا من أن تكون هذه الأقلام — الأقلام الكبيرة — بريد اليقظة الكاملة ، والنهضة الشاملة ، لهذه الأمة النائمة .

وأن لنا فى التاريخ ، لأمثلة حية من جهاد الأقلام ، فى أنهاض الأمم ، وإيقاظ الهمم ، وهذه كتب (روسو ومونتسكيو وفولتير) وغيرهم بين أيدينا ، تشهد على ما فعلته فى فرنسا أيام غفلتها ، وأبان رقدتها .

فإذا لم تسبق فكرة (البرلمان الشعوبى العربى) هذه الهزة الفكرية من (برلمان الأقلام) فى مصر وغيرها ، وقادة الرأى ، وأعلام الفكر فى الأمة العربية كلها ، حتى تتناجى الأرواح ، وتلتقى الأفكار ، وتتحدث المشاعر ، فلن نجد عند المركة ، الأذن التى تسمع ، والقلب الذى يعى ، والعقل الذى يفكر ، والإرادة التى تعمل ، وإذا خسرنا هذه كلها ، فلن تنفعنا — حين ذاك — هذه (المؤتمرات) ولا تلك (البرلمانات) .

فلعل أدباءنا الأمجاد ، يعرفون هذه الحقيقة ، فيعطوها نصيباً من أقلامهم ، وقليلا من وقتهم ، ويسيراً من تفكيرهم ، وهم — دون شك — يعلمون بأن دولة الأفكار فى حصن مكين ، لا تنالها قوة ، ولا يصل إليها عدوان ... ولنذكر أخيراً كلمة شكسبير الخالدة (تستطيع أن تسلبنى مالى ، وأن تسجننى ، وأن تقبض روحى ، ولكنك عاجز عن قتل فكرة واحدة من أفكارى . إن الأفكار تستمد وجودها من الله .)

(دمشق — المزه) **عمر عودة الخطيب**

أوهـــام في الزيتون

للآنسة الفاضلة فدوى عبد الفتاح طوقان

«في السفح الغربي من جبل (جرزيم) حيث تملأ مغارس الزيتون القلوب والعيون ، هناك ، ألفت القعود في أصيل كل يوم عند زيتونة مباركة ، تحنو على نفسي ظلالهـــا ، وتمسح على رأسي عذبات أغصانها ؛ وطالما خيل إلى أنها تبادلني الألفة والمحبة ، فتحسن بإحساسي ، وتشعر بشعوري .

وفي ظلال هـــذه الزيتونة الشاعرة كم حلمت أحلاماً ووهمت أوهاماً » .

هنا ، هنا ، في ظل زيتونتي   تحطم الروحُ قيودَ الثرى
وتخلد النفس إلى عزلة   يخنق فيها الصمتُ لغوَ الورى

هنا ، هنا ، في ظل زيتونتي   في عدوة الوادي ، بسفح الجبل
أصغي إلى الكون ولما تزل   آياته تروي حديثَ الأزل

هنا يهيم القلب في عالم   تخلقه أحـــلامي المبهمه
لأفقه في ناظري روعة   وللرؤى في مسمعي هينمه

عالم أشـــواق سماوية   تطلق روحي في الرحاب الفساح
خفيفةً ، لا الأرض تثني لهـا   خطواً ، ولا الجسم يهيض الجناح

واهاً ! هنا يهفو على مجلسي   من عالم الأشواق روح حبيب
لم تره عينـــاي ، لكنه   في خاطري ، يا للبعيد القريب

أكاد بالـــوهم أراه معي   يغمر قلبي بالحنان الدفيق
يمضي به نحو سمـــاء الهوى   على جناح من شعاع طليق

زيتونتي ، لله كم هاجس   أوحت به أشواقي الحائره ...
وكم خيالات وعى خاطري   تدري بها أغصانك الشاعره !

نجيتي أنت وقـــد عزّني   نجيُّ روحي يا عروس الجبل
دعي فـــؤادي يشتكي بثّه   لعل في النجوى شفاءً ، لعل

يا ليت شعري إن مضت بي غداً   عنك يدُ الموت إلى حفرتي
تراك تنسين مقامي هنـــا   وأنت تحنين على مهجتي ؟

تراك تنسين فؤاداً وعت   أسراره أغصانك الراعشات
باركها الله ، لكم ناغمت   وهدهدت أشواقه الصارخات !

زيتونتي ، بالله إما هفت   نحوك بعدي النسمة الهائمه
فاذّكري كم نفحتنا معاً   عطورها الناضرة الناعمـــه

وحين يستهويك طيرُ الربى   بنغمة ترعش منك الغصون
فاذّكري ، كم طائر شاعر   ألهمه شدوي شجيَّ اللحون !

تذكريني كلما شعشعت   أوراقك الخضراء شمس الأصيل
فكم أصيل فيه شـــيعتها   بمهجة حرّى ، وطرف كليل

إن يزوها المغربُ عن عرشها   فالشرق الزاهي بها يرجع
لكنني ، آهاً ، غداً تنزوي   شمس حياتي ثم لا تطلع !

ويحي ، أتطويني الليالي غداً   وتحتويني داجيات القبور ؟
فأين تمضي خفقاتُ الهوى   وأين تمضي خلجات الشعور ؟ !

ونور قلبي ، والرؤى ، والمنى   وهـــذه النار بأعماقيه ...
هـل تتلاشى بدداً كلها   كأنها ما ألهبت ذاتيه !..

أما لهذا القلب من رجعة   للوجد ، للشعر ، لوحي الخيال ؟
أيخمد المشبوب من ناره   واشقوة القلب بهذا المآل ! .

يا رب إما حان حين الردى   وانعتقت روحي من هيكلي
وأعنقت نحـــوك مشتاقة   تهفو إلى ينبوعها الأول ...

وبات هذا الجسم رهن الثرى   لقًى على أيدي البلى الجائره
فلتبعث القدرة من تربتي   زيتونةً ملهمة ... شاعره ...

جذورها تمتص من هيكلي   ولم يزل بعد طرياً رطيب
تمتُّ من قلبي أنواره   ومنه تستلهم سرّ اللهيب !

حتى إذا يا خالق أفعمت   عناصري أعصابها والجذور
انتفضت تهـــتز أوراقها   من وقدة الحسّ ووهج الشعور

وأفرعت غينـــاء فينانةً   مما تروّت من رحيق الحياه
نشوى بهذا البعث ، ما تأتلي   تذكر حلماً قد تلاشت رؤاه

حلم حياة سربت وانطوت   طفاحـــة بالوهم ... بالنشوةِ
لم تك إلا نغماً شـــاجياً   على رباب الشوق والصبوةِ !

(نابلس)   فدوى عبد الفتاح طوقان

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

مشكلة الأداء النفسى فى الشعر العربى :

مشكلة الأداء النفسى فى الشعر مشكلة تهم الشعراء المحدثين ، وتهم النقاد المحدثين ، وتهم القراء المحدثين . تهمهم جميعاً لأن نظرة الشاعر إلى النفس والحياة قد تفاوتت بين الأمس واليوم ، وكذلك نظرة الناقد ونظرة القارئ ... ويلاحظ هنا أننى أقصر الحديث على الشعر العربى وحده دون سواه .

إن رأيى فى الشعر العربى القديم هو رأيى فى مشكلة الأداء اللفظى فى هذا الشعر، وهى مشكلة شغلت الشعراء القدامى فأفرغوا فيها كل طاقتهم الشعرية لا الشعورية ، وشغلت النقاد القدامى فأقاموا موازينهم للألفاظ من حيث الدلالة المادية لا النفسية ، وشغلت القراء القدامى لأن فهمهم للشعر قد استمد أسباب وجوده مما بين أيديهم من نتاج شعرى يسير فى ركابه النقد الموجه لهذا النتاج ... إذا قلت لك إن الشعر العربى القديم كان فى جملته شعر « السطوح الخارجية » للنفس والحياة ، فلا تحمل هذا القول على التعصب للحديث والوقوف إلى جانبه . إن أمامك هذا الشعر ، فراجع فيه نفسك ، واستشر فى حقيقته ذوقك وحسك ، إنه شعر يشعرك بفراغ « الوجود الداخلى » عند قائليه ، لأنهم كانوا يعيشون خارج « الحدود النفسية » فى الكثير الغالب من الأحيان، فإذا عادوا إلى تلك الحدود فتغلبوا على مشكلة « الصدق الشعورى » قامت فى وجوههم مشكلة أخرى هى مشكلة « الصدق الفنى » ... وهنا مفرق الطريق بين المشكلتين الرئيسيتين : مشكلة « الأداء النفسى » ومشكلة « الأداء اللفظى » ، فى معرض الموازنة بين الشعر العربى الحديث والشعر العربى القديم !

وأحب هنا أن أوضح الفوارق بين هذه القضايا الفنية فى حدود التعبيرات الاصطلاحية والنقدية... فما هو الصدق الشعورى أولا ، وما هو الصدق الفنى ثانياً ، حتى نستطيع أن نصل إلى الهدف الأخير حول مشكلتى الأداء فى الشعر ؟

الصـدق الشعورى هو ذلك التجاوب بين الوجود الخارجى المثير للانفعال ، وبين الوجود الداخلى الذى ينصهر فيه هـذا الانفعال . أو هو تلك الشرارة العاطفية التى تندلع من التقاء تيارين : أحدهما نفسى متدفق من أعماق النفس ، والآخر حسى منطلق من آفاق الحياة . أو هو ذلك التوافق بين التجربة الشعورية وبين مصدر الإثارة العقلية فى مجال الرصد الأمين للحركة الجائشة فى ثنايا الفكر والوجدان ... هذا هو الصدق الشعورى وميدانه الإحساس ، أما الصدق الفنى فميدانه التعبير ؛ التعبير عن واقع هذا الإحساس تعبيراً خاصاً يبرزه فى صورته التى تهز منافذ النفس قبل أن تهز منافذ السمع ، وهذه هى التجربة الكبرى التى تختلف حولها القيم الفنية للشعر فى معرض التفرقة بين أداء وأداء !

هناك شاعر يملك الصدق فى الشعور ولا يملك الصدق فى الفن ، لأنه لم يؤت القدرة على أن يلبس مشاعره ذلك الثوب الملائم من التعبير ، أو يسكن أحاسيسه ذلك البناء المناسب من الألفاظ ، ولا مناص عندئذ من الإخفاق فى إظهار الطاقتين معاً : الشعرية والشعورية ... وهنا يأتى دور الأداء النفسى فى الشعر ، وهو الأداء الذى يعتمد على اللفظ والجو الموسيقى : اللفظ ذو الدلالة النفسية لا المادية ، اللفظ ذو الظلال الموحية لا الظلال الجامدة ، اللفظ الذى يتخطى مرحلة إشباع المعنى الجزئى الواحد إلى مرحلة إشباع المعانى الكلية المتداخلة !

هـذا هو مكان اللفظ من الأداء ، أما الجو فنقصد به ذلك الأفق الشعرى الذى ينقلك بصدقه إلى مكان الفن وزمانه ، ويحقق لك تلك المشاركة الوجدانية بينك وبين الشـاعر ، ويحدث لك نفس الهزات الداخلية التى تلقاها وهو فى حالة فناء شعورى كامل مع « الوجود الخارجى » .

ويبقى بعد ذلك عنصر التنغيم فى مشكلة الأداء ، وهو عنصر له خطره البعيد وأثره الملحوظ فى تلوين الانفعالات الذاتية فى التعبير . وهنا يبدو الارتباط كاملا بين العناصر الثـلاثة ، لأن « الحقل الشعرى » ممثلا فى عنصرى الألفاظ والأجواء لا غنى له بحال عن عنصر « الوسيقى التصويرية » التى تصاحب « المشهد التعبيرى » فى كل نقلة من نقلات الشعور ، وكل وثبة من وثبات الخيال !

ويظهر أثر الربط بين هذه القيم فى مشكلة الأداء النفسى حين نلتمس ذلك التناسق بين فنون الشعر المختلفة ... إن لكل فن من هذه الفنون طابعه الخاص المتميز فى مجال التصوير الفنى عن طريق اللفظ والجو والموسيقى؛ فمن أسباب الإخلال بالأداء النفسى أن نتخير اللفظ الهامس ، والجو الهادئ ، والموسيقى الحالمة مثلا فى شعر الملاحم ، وأن نعكس القضية من وضع إلى وضع فنتخير اللفظ الهادر ، والجو الصاخب ، والموسيقى العاصفة مثلا فى شعر الغزل والرثاء !

نترك هذا التحديد لكل تلك القضايا الفنية لنقول إن أصحاب الشعر العربى القديم لم يفطنوا إلى قيم الأداء النفسى فى الشعر إلا فى القليل النادر الذى لا يحسب له حساب ... وإذا كانت هناك ومضات من هذا الأداء تطالعك فى هذا الشعر ، فهى ومضات متفرقة يصعب أن تجمع بينها لتخرج من هذا الجمع برصيد يمكن أن ينسب إلى شاعر واحد ، لتخلق من شخصيته الشعرية قمة من قمم الأداء النفسى ! مصدر الداء أنهم نظروا إلى مظهر اللفظ أكثر مما نظروا إلى مخبره ، وأنهم شغلوا عن « الذاتية النفسية » بتلك « الذاتية البيانية » ، وأنهم عبروا عن الشعور المصنوع أكثر مما عبروا عن الشعور المطبوع !

على هذا الأساس سار الشعر القديم يبارك خطواته النقد القديم؛ ذلك لأن الأجيال قد دأبت على أن تخلق أبناءها فى ميدان الفن من طينة واحدة ، وأن تصوغ ملكاتهم من معدن واحد : يقف الشاعر عند « الهياكل العظمية » للألفاظ ويقف معه الناقد ، وغاية الفن عند هذا وذاك أن يطلب الأول إلى صاحبيه أن يقفا لحظات ليبكيا معه ، وأن يشير الثانى إلى أنه قد بلغ القمة لأنه وقف واستوقف وبكى واستبكى ، أو لأنه مثلا قد وفق إلى تشبيه شيئين بشيئين فى بيت واحد !

لا أريد أن أذهب فى القول إلى أكثر مما ذهبت فى هذا المجال ، لأن مشكلة الأداء اللفظى لا تحتاج إلى أن نستخلص لها الشواهد من الشعر العربى القديم ، ولأن تلك الشواهد قد مر بها القراء والأدباء فى مطالعتهم لذلك الشعر ، وهى بعد ذلك أوضح فى حساب الكثرة من أن يشار إليها أو تجمع فى حساب التسجيل والإحصاء !

حسبنا أن نقول إن الشعراء المحدثين قد خطوا بفهمهم لأصول الفن الشعرى خطوات جديدة ، ووثبوا بالأداء النفسى وثبات أقل ما يقال فيها إنها ردت للألفاظ قيمها التعبيرية حين ردتها إلى محاريبها النفسية فغدت وهى صلوات شعور ووجدان. ويستطيع النقد الحديث أن يقول إنه قد وجد ضالته فى هذا الشعر الذى وجد نفسه ... وإذا قلنا الشعر العربى الحديث ، فإنما نعنى ذلك الشعر الذى بدأت مرحلته الأولى بتلك المدرسة من بعض شعراء الشيوخ وعلى رأسهم « شوقى » ، وبدأت مرحلته الثانية بتلك المدرسة الأخرى من بعض شعراء الشباب وعلى رأسهم « إيليا أبوماضى » ، وفى شعر هذين الشاعرين تبدو ومضات الأداء النفسى أكثر لمانا منها فى شعر الآخرين ! ..

ولقد قدمت إلى القراء نقداً تحليلياً لمشكلة الأداء النفسى فى الشعر ، وبقى أن أقدم إليهم نموذجا كاملا لهذا الأداء ، حتى تتكشف لهم جوانب ذلك النقد على ضوء هذا المثال ، وهو قصيدة للشاعر إيليا أبى ماضى ، وقعت عليها دون أن أعمد إلى شىء من الاختيار ... عنوان القصيدة « وطنى » ، وبناؤها هذه الأبيات:

وطن النجوم ... أنا هنا حدق ... أتذكر من أنا ؟
ألمحت فى الماضى البعيد فتى غريراً أرعنا
جذلان يمرح فى حقولك كالنسيم مدندنا
المقتنى المملوك ملعبه وغير المقتنى
يتسلق الأشجار لا ضجراً يحس ولا ونى
ويعود بالأغصان يبريها سيوفاً أو قنا
ويخوض فى وحل الشتاء مهللا متيمنا
لا يتقى شر العيون ولا يخاف الألسنا
ولكم تشيطن كى يدور القول عنه : تشيطنا !

***

أنا ذلك الولد الذى دنياه كانت هاهنا
أنا فى مياهك قطرة فاضت جداول من سنى
أنا من ترابك ذرة ماجت مواكب من منى
أنا من طيورك بلبل غنى بمجدك فاغتنى
حمل الطلاقة والبشاشة من ربوعك للدنى

***

كم عانقت روحى رباك وصفقت فى المنحنى
للبحر ينشره بنوك حضارة وتمدنا
لليل فيك مصلياً ... للصبح فيك مؤذنا
للشمس تبطئ فى وداع ذراك كيلا تحزنا
للبدر فى نيسان يكحل بالضياء الأعينا
فيذوب فى حدق المهى سحراً لطيفاً لينا
للحقل يرتجل الروائع زنبقاً أو سوسنا
للعشب أثقله الندى ... للغصن أثقله الجنى
عاش الجمال مشرداً فى الأرض ينشد مسكنا
حتى انكشفت له فألقى رحله وتوطنا
واستعرض الفن الجبال فكنت أنت الأحسنا

هذا هو الأداء النفسى الذى أبحث عنه وأدعو إليه ، الأداء النفسى الذى يستمد صورته التعبيرية من الصدق الفنى والصدق الشعورى ، ويعتمد على العناصر الثلاثة التى حدثتك عن قيمها الفنية ، وهى اللفظ والجو والموسيقى : اللفظ الخاص ، والجو الخاص ، والموسيقى الخاصة ... وتعال نستعرض مواكب الألفاظ أولا فى شعر أبى ماضى :

قف عند البيت الأول لتتفيأ الظلال النفسية فى كلة «حدّق» . وقف مرة أخرى عند البيت الثانى لتنفذ إلى أعماق الواقعية فى كلة « أرعن » . وقف مرة ثالثة عند البيت الثالث لتتذوق المعانى الحسية فى كلة « مدندن » . وطبق هذه اللمحات واللفتات على الأبيات التالية حين تقف عند كلة « يتسلق » و « يخوض » و « تشيطن » من ناحية الحركة المتدفقة فى ثنايا التعبير . وعندما تبلغ البيت العاشر قف طويلا لتطرق الأبواب الشعورية الضخمة فى كلة « ولد » ... لو قال أبو ماضى مثلا « أنا ذلك الطفل » بدلا من « أنا ذلك الولد » لغدت اللفظة عادية لا تثير فى النفس شيئاً من المشاعر والأحاسيس . ولو قال مثلا « أنظر » بدلا من « حدق » لبدت اللفظة مغرقة فى المادية فلا إشعاع ولا إيحاء !

إن الألفاظ هنا قد اختيرت لتوضع فى مواطنها الأصيلة لتؤدى دورها الأصيل فى إرسال الموجات الصوتية المعبرة عن واقع الهزات المنبعثة من الوجود الداخلى ... وانظر إلى كلتى « فاضت » و « ماجت » فى البيتين الحادى عشر والثانى عشر ، وإلى كلتى « عانقت » و « صفقت » فى البيت الخامس عشر لترى مبلغ الإثارة الوجدانية فى الصورة الوصفية . وقل مثل ذلك عن البيت الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين عندما تضع فى بوتقة الشعور كلة « تبطئ » و « يكحل » و « يذوب » ... وأتم الميزان كل الميزان لهذا الحقل الذى « يرتجل » الروائع من الزنبق والسوسن ، ولهذا الجمال الذى « شرد » فى شعاب الأرض يلتمس المأوى حتى إذا ظفر به « ألقى رحله » واستراح . ولا تنس ذلك الفن الذى « استعرض » الجبال ليختار أحسن الأوطان!

وتعال بعد ذلك أحدثك عن عنصرى « الجو والموسيقى » فى هذا الأداء ؛ الجو الذى قلت لك عنه إنه الأفق الشعرى الذى ينقلنا إلى مكان الفن وزمانه ، ويحقق لنا المشاركة الوجدانية بيننا وبين الشاعر ، ويحدث لنا نفس الهزات الداخلية التى يتلقاها وهو فى حالة فناء شعورى كامل مع الوجود الخارجى ... إن الشاعر هنا يصور ملاعب الطفولة البريئة فى رحاب الوطن الأول ، وهو بعد ذلك يستعيد ذكرى عهود ، عهود مرت بنا ونسيناها ، فإذا هى تعود إلينا من وراء الوعى حية نابضة ، وما هذا النبض وتلك الحياة إلا من أثر القدرة على البعث والإثارة !

إنك لتحس من هذا « الجو » الذى ترسمه ريشة الشاعر على لوحة الشعور أنك قد نقلت نقلا على جناح الخيال إلى هناك ، إلى ذلك الأفق البعيد الوغل فى طوايا الزمن ... وإذا أنت فى كل بيت من أبيات أبى ماضى تكاد تلمح طفلا يتوثب مرحاً ونشاطاً وحيوية ، طفلا يخيل إليك أن كل نقلة من نقلات الإيقاع الموسيقى هى وقع الخطى من قدميه الصغيرتين !

ولعلك تلحظ أن الإيقاع هنا هو إيقاع الموسيقى الحالمة ، ذلك لأن الجو الشعرى هو جو الأحلام الخالصة ، جو الذكريات التى يهمس بها الماضى الحبيب فى مسارب النفس الخفية ، فيرتد الصدى العميق من تلك الأغوار إلى ثنايا الكلمات ، ممثلا فى تلك الوقدات الملتهبة من جيشان العاطفة .

وهذا هو دور الموسيقى التصويرية التى قلت لك عنها إنها تصاحب المشهد التعبيرى فى الأداء النفسى ، وتعمل على تلوين الانفعالات المختلفة تلويناً خاصاً يتناسب وطبيعة الألفاظ فى مجال القيم الفنية والنفسية .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

تأبين المجمع اللغوي للمازني :

أقام مجمع فؤاد الأول للغة العربية حفل تأبين للمغفورله الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني يوم الإثنين الماضي بدار الجمعية الجغرافية الملكية . وقد اقتصر الحفل على كلمة الأستاذ عباس محمود العقاد التي رؤى الاكتفاء بها تجنباً للتكرار والإملال ، وقد جاءت فعلا وافية بالغرض ، فقد ألم فيها بحياة الفقيد إلماماً إجمالياً حلل في ثناياه أدبه وبعض صفاته الشخصية التي أثرت في هذا الأدب . فأغنت عن كثير من خطب وقصائد مما يلقى في هذه المناسبة .

استهل الأستاذ العقاد حديثه عن صديقه فقيد الأدب الأستاذ المازني بأنه كان « منذوراً » للأدب بكل ما نفهمه اليوم من معنى هذه الكلمة ، وقد كان الأقدمون إذا قيل لهم عن أحد من الناس إنه منذور لهذا المعبد أو لهذا الحرم ، فهموا من ذلك أنه قائم في خدمة معبده طول حياته ، وأنه لا يملك أن ينحرف عن خدمته باختياره . وقد خيل للمازني أن يعطى مطالب المعيشة حقها ، فلم يلبث حتى تبين له أنه للأدب وحده ، وأن الأدب يلاحقه أينما ذهب ، فلا يتركه حتى يعيده إلى جواره .

وبعد أن تحدث عن المرحلة التي لحق فيها المازني بمدرسة المعلمين العليا وتخرج فيها ، قال : لقيت المازني في هذه الفترة ، ولقيت الأستاذ عبد الرحمن شكري بعد ذلك ، فمن عجيب التوفيق أن يكون شكري في الأسكندرية ، وأن يكون المازني في القاهرة ، وأن أكون أنا في أسوان ، ثم نلتقي على قدر وعلى اتفاق فيما قرأناه وفيما نحب أن نقرأه ، مع اختلاف في حواشي الموضوعات من غير اختلاف على جوهرها ، وكان المازني أكثرنا ولعاً بالقصة والمقالة الوصفية ، وكنا نلتقي في ناحية واحدة من نواحي القصة على الخصوص ، وهي القصة الروسية ، وأحسب أن القصة الروسية من أقوى المؤثرات في نزعته التي جنح إليها بقوته كلها بعد ذلك فيما نسميه بفلسفة الحياة .

وتحدث العقاد عن نزعة الاستخفاف عند المازني فقال إنها ترجع إلى جملة أسباب بعضها ما كمن في طبعه وأتى بعضها من عراك الحوادث ووحي المطالعة والتفكير . درج صديقنا رحمه الله على حب الدعابة منذ طفولته ، يسرى عن النفس ، ولا يضير أحداً ممن يمسه بتلك الدعابة ... كنا يوماً نركب الترام لأول مرة إلى ظاهر المدينة ، فلما وقف في إحدى محطاته التفت المازني إلى رجل واقف يغرى منظره بالمماكسة — والحق يقال — فحياه وألح في تحيته والترام يتحرك ويبتعد ، والرجل واقف حائر حتى استخار الله وتغلب على شكه ورد التحية ، فما فعلها حتى أومأ إليه صديقنا بلسانه إيماءة ساخرة ولكنها غير جارحة ، وجعل يقول : والله إنه لرجل ظريف ، والله إنه (لجنتلمان) .

أما جانب التجربة في نزعة المازني إلى الاستخفاف ، فمنه النفساني الذي خامره من إرساله الشعر خاصة بغير صدى يتلقاه ممن يعنيهم بشعره ، ومنه آلام الصدمات والشدائد التي كان يخفف ثقلها بما استكن في طبيعته من نوازع الاستخفاف .

أما الجانب الذي أوحت به المطالعة فأحسبه راجعاً على الأرجح إلى كتابين من القصص الروسي أحدهما قصة « سانين » لمؤلفها « أرتزيباشف » والآخر قصة الآباء والأبناء لتورجنيف ، وكلتاهما تخلق الاستخفاف على الأقل حين قراءتها لمن لا عهد له بالاستخفاف . ويجب أن نصف هنا هذا الاستخفاف بأصدق صفاته ، لأن المستخف قد يبدى قلة الاكتراث لسببين نقيضين : قد يبديها لقلة إحساسه ، وقد يبديها لفرط إحساسه . وقد كان فرط الإحساس هو الينبوع الذي يصدر عنه استخفاف المازني .

ثم قال الأستاذ العقاد : ولقد كانت ملكات المازني أول ما تناوله باستخفافه ، وكان الشعر أول ما تناوله من تلك الملكات ، ولكن استخفافه بشعره من قبيل استخفافه بكل شيء : فرط إحساس لا قلة إحساس . وإنه لمن الحظ السيء للشرق العربي أنه لم يأخذ من المازني كل ما كان قادراً على أن يعطيه من صفوة ملكاته ، وليست كلها مقصورة على الشعر ونقده ، فقد امتاز بملكة أخرى هي ملكة الترجمة المطبوعة ، أو ما يصح أن نسميه بعبقرية الترجمة ، فقد كان يترجم الكلام في سليقته شعوراً قبل أن يترجمه لفظاً ومعنى . وختم الأستاذ العقاد كلمته الحافلة بتوجيه الخطاب إلى الفقيد الراحل قائلا : ما أنت ممن يحسن إليه الناس بذكره ، وإنما يحسنون إلى أنفسهم كلما ذكروك .

بين الفتى وأستاذه الشيخ :

قال الفتى لأستاذه الشيخ : سمعت أخيراً من الإذاعة المصرية حديثاً لأستاذ من أساتذة الجامعة عن شاعر عباسي في سلسلة أعلام الأدب العربي ، ولأن الشاعر معروف ومدروس في المناهج الدرسية وغيرها توقعت أن حديث الأستاذ عنه لابد أن يتضمن جديداً في شأنه، ولكني وجدت الأمر على خلاف ما توقعت ، فإن الأستاذ تحدث عن الشاعر حديثاً مكرراً مقتضبا وشغل أكثر الوقت بأمثلة من شعره .

قال الأستاذ الشيخ : إنني يا بني قد بلوت هذه الأحاديث فلم أر فيها غناء ، والإذاعة تختار أولئك الأساتذة لمناصبهم ، وهم يستندون إلى هذه المناصب فلا يشعرون بالحاجة إلى كد أذهانهم المترفة لإحداث طريف أو إضافة جديد ، وقد لا يأتون بشيء إن كدوا .

قال الفتى : وماذا ترى لعلاج هذا الأمر ؟

قال الأستاذ الشيخ : العلاج يا بني يسير جداً ، وهو أن يختار الأشخاص لا المناصب ، ويجب قبل ذلك أن يُختار من يختار .

كل بيت له راجل :

هذا هو اسم الفلم الذي عرض

كشكول الأسبوع

□ يستأنف مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، دورته القادمة في أوائل أكتوبر المقبل ، ولم يعين بعد موعد الجلسة الأولى ؛ ومن الموضوعات التي يبدأ مجلس المجمع بالنظر فيها ، الإعداد لاستقبال العضوين الجديدين الأستاذين أحمد حسن الزيات وابراهيم مصطفى ، وكذلك النظر في الترشيح للكراسي التي خلت في المجمع بوفاة الدكتور شرف بك والأستاذ المازني والدكتور فيشر .

□ أذاعت وكالة الأنباء العربية من لندن ، أن المجلس البريطاني وجامعة لندن واللجنة الثقافية المصرية هناك ، تستعد لاستقبال الدكتور طه حسين بك عند وصوله إلى لندن . والمفهوم أنه سيلقي سلسلة من المحاضرات في مدرسة اللغات الشرقية

□ أورد الأستاذ الصاوي في « ما قل ودل » بالأهرام ، البيتين الآتيين ، وهما لاسماعيل صبري :

يا رب أين ترى تقام جهنم   للظالمين غداً وللأشرار
لم يبق عفوك في السموات العلى   والأرض شبراً خالياً للنار

وعلق عليهما تعليقاً روحياً لطيفاً ، غير أنه ذهب مذهباً معارضاً للمعنى ، إذ تساءل : هل للشاعر أن يطلب الرحمة لكل إنسان ؟ وما الفرق إذن بين البررة والطغاة ؟ وأقول إنما يقصد الشاعر إلى تصوير عفو الله ورحمته التي وسعت كل شيء . أما ضغط الأستاذ الصاوي على هذا الخاطر فهو من قبيل القسوة على الزهرة بدعكها وتمزيق أوراقها .

□ طلب مدير دار الأوبرا الملكية من وزارة المعارف زيادة الإعانة المقررة للموسم الفني الأجنبي ألفي جنيه لكي يتسنى الاتفاق مع مغن إيطالي ليغني بالأوبرا . والمأمول ألا يوافق معالي مرسي بدر بك على ذلك .

□ طلبت هيئة اليونسكو بباريس إلى وزارة المعارف موافاتها بأسماء الكتب التي ترجمت في مصر من جميع اللغات الحية إلى اللغة العربية وأسماء المؤلفين والمترجمين لنشرها ضمن الكتاب الذي تعده اليونسكو عن الحركة الثقافية في الدول الأعضاء بها .

□ ثبت أن الرقص التوقيعي ضروري لطلبة معهدي التمثيل والموسيقى وطالباتهما ، ولذلك رؤى ألا يطبق عليهم قرار معالي وزير المعارف الخاص بمنع الرقص التوقيعي في المدارس .

□ قدم بعض خريجي معهد التمثيل الملحقين بالفرقة المصرية ، استقالاتهم من هذه الفرقة لأنها لا تسند إليهم إلا الأدوار التافهة ، ويعتزم باقي زملائهم أن يستقيلوا أيضاً على أن يؤلفوا فرقة خاصة بهم .

□ أرسل الناقد الأدبي الإيطالي بنيديتو كروتشي إلى مؤتمر نادي القلم الدولي المنعقد في البندقية ، رسالة قال فيها : إن مصدر الشعر العبقرية والإلهام ، وليس عملية جمع ترص فيها الكلمات جنباً إلى جنب كما تفعل المدارس الحديثة .

□ انتهت جلسات المؤتمر الثقافي المصري الذي عقد بلندن ، بعد أن اتخذ عدة قرارات تتناول كثيراً من الإصلاحات الجوهرية في مختلف نواحي الحياة المصرية ، ومنها أنه ينبغي أن يقوم التعليم على أساس أكثر ديمقراطية مما هو الآن بحيث يكون التعليم الأساسي المجاني حقاً لكل فرد

لأول مرة في هذا الأسبوع بسينما أوبرا . وتعالج قصة الفلم مشكلة عاطفية عرضت هكذا :

أمينة هانم لا تزال في شبابها تعيش في قصر زوجها المتوفى ومعها ابنتها « فاتن » وهي فتاة في السابعة عشرة من عمرها ، وتبدو الأم في النظر الأول حزينة على زوجها الراحل ، فلا تكاد تسمع لحناً معيناً تعزفه ابنتها على البيان حتى تتأثر وتنهاها عنه ، لأنه اللحن الذي كان يعجب به زوجها حين تعزفه ابنته. ولكن رجلا يدخل المنزل فيغير مجرى الحياة فيه وتتحول إليه مشاعر الأم والبنت ، وهو محمود بك رامي الذي ندبته دار الآثار ليفحص مكتبة الزوج المتوفى كي تشتريها الدار أو تشتري بعض محتوياتها . ولم نعرف بناء على أي شيء حضر المندوب لهذه المهمة ويبدو من حديث الأم مع ابنتها عند حضوره أنهما لم تطلبا ذلك من دار الآثار . ولا أدري لماذا لم يكن محمود بك موفدا من دار الكتب بدلا من دار الآثار !

يتبين محمود بك رامي في أثناء فحص المكتبة بحضور أمينة هانم ومساعدتها ، أنها سيدة مثقفة ، كما يتأثر بجمالها وشخصيتها ، فيثني عليها ويبدي

لها إعجابه ويدعوها إلى حضور محاضرة له بمكتبة الأميرة فريال ، فتلبي ، وتعود إلى ابنتها فاتن التي تسألها عنه باهتمام ، ويتحدثان عنه حديثاً يدل على إعجابهما به بل على حب كل منهما له ، فقد شاهدته فاتن خلال حضوره إلى المنزل وعلقت نظراتها به . وتتطور علاقة محمود بك بأمينة هانم حتى يتكاشفا بحبهما ، وتمده بزواجه بعد زواج فاتن . وتسافر فاتن مع صاحبتها ميمي ووجيه بك أخي ميمي الذي عاد من أمريكا بعد أن درس فن الزراعة وإصلاح الأراضي البور — تسافر معها إلى القرية التي بها أملاك أبيهما ، وفي أثناء ذلك يتودد وجيه بك إلى فاتن ولكنها تقابل تودده بتحفظ يدل على عدم حبها إياه . وتعود فاتن فتشاهد مظاهر الحب بين أمها وبين محمود بك ، فتحزن لذلك . وتتوالى حوادث تتخللها محاولات من جانب فاتن للظفر بحب محمود بك ولكنه يتخلص منها مع التلطف ، ويقبل على أمها كل الإقبال ، حتى يحدث أن تراه البنت يقبل أمها ، فتتأثر من هذا المشهد غاية التأثر ، وتلزم فراشها ؛ وعند حضور أمها إليها تبدى لها استنكارها وتثور عليها ثم يقول لها صوت الضمير الذي ينطق مسموعا : ما هذا يا فاتن ؟ إن أمك لا تزال في شبابها ونضارتها ومن حقها أن تتمتع بالحياة ، ومحمود بك رجل في سن والدك وهو يلائم أمك ، فكيف تحبينه أنت وتحرمينه على أمك ؟ وأنت يلائمك شاب صغير ينتظر إشارة منك ... فتعود إلى عقلها وتستصفح أمها . ثم نرى المشهد الأخير وقد تزوج محمود بك بك بأمينة هانم وفاتن تقول له : لقد أخطأت في تكييف شعوري نحوك فأنا أحبك حقاً ولكني أحبك كأبي ويظهر الجميع في منظر يقدم فيه وجيه بك إلى فاتن على أنه عريسها وفجأة ينشأ الحب بينهما ويلتقيان في ضمة وقبلة .

القصة سليمة في أولها وتسلسل حوادثها ، وقد عرضت عرضاً طبيعياً جميلا ، وحددت سمات أبطالها وأشخاصها تحديداً دقيقاً ، وصورت المشكلة فيها تصويراً واضحاً . ولكن ما كادت الوقائع تتقدم نحو الحل حتى ظهرت اللاهوجة فهدمت البناء ، وقصم الحل ظهر القصة .

كيف يمكن القضاء على عاطفة أو تحويلها ، وإنشاء عاطفة أخرى مكانها ، في لحظة واحدة دون تمهيد طويل أو قصير ؟ هل يكفي صوت ينطق بتلك الجمل لكي تنمض الفتاة عينيها وتفتحها فترى الحبيب أباً والفتى الجامد محبوبا ؟ لقد كان يمكن أن يكون وجيه بك شابا جذابا مغريا بالحب على أن يؤخر اتصاله بفاتن في الوقت الذي يجهد فيه لتحولها عن حب محمود بك . ولكن الفلم يعرض هذا الشاب في صورة جامدة كئيبة ثم يفرضه في النهاية محبوبا لفتاة رائعة تحب أو كانت تحب غيره !

وكان لوحيد بك مشروع لإصلاح الأراضي البور في القرية ، لم يأخذ حقه في الإبراز ، فقد قالوا لنا في الآخر إنه نفذ ونجح ولم نر علامة لذلك غير بضعة أشجار يغني بينهما عبد العزيز محمود . والحق أنه أجاد في غنائه وموسيقاه . وفي الفلم ظاهرة تتكرر في معظم الأفلام المصرية وهي إظهار الفلاحين أذلاء خاضعين لسلطان السيد صاحب الضيعة ، وهي ظاهرة موجودة في بعض الجهات ولكن تكررها في الأفلام يدل على أن ذلك هو طابع الحياة في القرى المصرية ، وليس الأمر كذلك إلا في القليل .

وقد أخرج الفلم محمد كامل مرسي ووضع قصته مجدي فريد ، وهو فلم نظيف ، ومناظره متسقة ، وحواره جيد ، والقصة لا بأس بها بصرف النظر عن تلك المآخذ ، والتمثيل ممتاز ، فقد أجادت أمينة رزق (أمينة هانم) في دور المرأة المحترمة المحبة ، وكذلك فاتن حمامة (الآنسة فاتن) وخاصة في أثناء مصاحبتها لوجيه بك فقد مثلت دور الفتاة (الاسبور) المترفعة المتحفظة أحسن تمثيل ، وكانت ظريفة عند ما كانت تناقش نفسها في خلوتها : أيهما ، هي أو أمها ، أحق بحب محمود بك . ومثل محمود المليجي دور (محمود بك راضي) وهو شخصية محبوبة في الرواية ، وكان الشاهدون يتوقعون أن يكون شريراً لكثرة ما شاهدوا المليجي في تمثيل الأشرار . ولكنه استطاع — رغم ذلك — أن يقنع الجمهور بأنه رجل طيب ...

أما الوجه الجديد وجيه عزت الذي قام بدور (وجيه بك) فوضعه في الفلم اقتضاه أن يظهر في جد (زيادة على اللزوم) وهو يجيد في مثل هذا الدور ، على ألا ينتهي بحب فتاة مثل فاتن حمامه .

عباس خضر

رسالة النقد

ديوان الــــوزير
محمد بن عبد الملك الزيات

نشره وحققه الدكتور جميل سعيد

بقلم الأستاذ بدوى أحمد طبانه

يخيل لكثير من الناس أن إخراج كتاب أو نشره عمل يسير ، يستطيع أن ينهض به كل من يستطيع أن ينسخ ، ثم يستطيع بعد ذلك أن يقدم ما نسخه إلى المطبعة . هكذا يخيل لأكثر الناس ، وكذلك كان يخيل إلىّ أيضاً قبل أن أبتلى بهذا اللون من الجهد العلمى ، حتى إذا كان ذلك تبين لى أن جهداً يبذل فى نشر كتاب وتحقيقه دونه بكثير كل جهد يبذل فى التأليف وإن كان عظيما ؛ لأن المؤلف صاحب الموضوع الذى يؤلفه ، اختمرت فى رأسه فكرته ، وأعد له ما يعينه من المراجع . أما الناشر فما أكثر ما يصادف من عقبات لا يستطيع اجتيازها إلا الكفء الجلد ، وناهيك بعقبات التمزيق والأرث وما يقع فيه النساخ من أخطاء التصحيف والتحريف..

وفى المكتبة العربية نفائس لا يحصيها إلا الله ، ولكنها مطمورة فى زوايا النسيان ، لا تصل إليها الأيدى ، ولا ينتفع الناس بما تحوى من علم وفن ، حتى يتاح لهذه النفائس من ذوى الغيرة من يأخذ بيدها فينفض عنها غبار السنين ، ويعم الانتفاع بها .

ونحن فى نهضتنا الحاضرة محتاجون أشد الحاجة إلى بعث هذه الكنوز من مدافنها ؛ فإن فى هذا البعث خدمة قومية إلى ما يؤديه من خدمات علمية أو فنية ، فإحياؤها فرض ليس لقادر عليه أن يكف عنه .

ولهذا لا يسعنا إلا أن نرحب بديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات ، وإلا أن نشيد بفضل ناشره العالم الأديب الدكتور جميل سعيد أحد أساتذة الأدب فى دار المعلمين العالية فى بغداد ، الذى أضاف إلى الأدب ثروة فنية تعين الباحثين ومؤرخى الأدب بنشره هذا الديوان ، فعامة العلماء والأدباء يعرفون ابن الزيات كاتباً أكثر مما يعرفونه شاعراً ، ثم يعرفون كيف سما الأدب بابن الزيات حتى كان الوزير والمصرّف للأمور فى عصر من أزهى عصور الدولة العباسية ، ولم يكن له من الحسب أو الجاه ما يرشحه لهذا المنصب الخطير ، وهو زيات ابن زيات ، سوى الموهبة الأدبية .

وقد قدّم الدكتور جميل الديوان بترجمة موجزة لحياة الرجل ووصفت النسخة التى نقل عنها ، ثم ذكر فى مقدمته عدة آراء فى ابن الزيات وشاعريته استخلصها من شعره ، وأكثر هذه الآراء وفق فيه توفيقاً عظيما يشهد له بالأصالة والبراعة والحاسة الفنية المرهفة وكان سر هذا التوفيق أن صاحبه كان صادقاً ، وكان ميزاناً عدلاً لنفسه ، ولصاحب الديوان الذى نشره ، فلم يفرط فى تقريظه والتنويه به ؛ شأن كثير من الذين يعتدون بالموضوع الذى يدرسونه أو الشخصية التى يعالجون تحليلها ...

ومن أمثلة الإنصاف قوله عن الشعر الذى عثر عليه فى ديوان ابن الزيات : إنه (لا يمثل حياة ابن الزيات كاملة . وربما كان له شعر لم يجمعه جامعه[1]) .

ثم تراه يقول : (إن أشعاره التى فى ديوانه هذا لا نراها تضعه فى مصاف الشعراء المطبوعين ، وقد لج الهجاء بينه وبين على ابن جبلة ، والقارئ حين يقرؤه يجد الفرق واضحاً بين ابن الزيات وبين الشاعر المطبوع على بن جبلة[2]) .

ومثل هذه الآراء سديد موفق ، ومبعث السداد والتوفيق — كما قدمنا — أن صاحبها كان صادقاً فى قوله صدقه فى إحساسه الفنى .

ولكننا على الرغم من إعجابنا بهذه الآراء وتقديرنا للجهود الفنية التى بذلت فى نشر الديوان ، لا نتفق مع الأستاذ الناشر فى فهم معنى ما أورده ابن رشيق فى العمدة نقلا من الجاحظ فى

(١) المقدمة « ب »
(٢) « « و »

قوله : « طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه ، فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينتقى إلا ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب ، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات[1] » .

فقد فهم الدكتور جميل من هذه العبارة أن الجاحظ يفضل هذين وأضرابهما على سائر الشعراء تفضيلا مطلقاً ، وقد بنى على هذا الفهم مناقشة هذا الرأى فى قوله : (وبعد ، أفكان ابن الزيات من المكانة الشعرية بالمحل الذى ذكره به الجاحظ والصاحب وابن رشيق[2] .

إننا لا نستطيع أن نفهم هذا الفهم الذى تبادر إلى ذهن الدكتور جميل من هذه العبارة ، فإن سياق الكلام يدل على أن البحث فى فهم الشعر ، وتذوقه ، ونقده ، ومعرفة ما يسمو به وما يتضع .

يريد الجاحظ أن يقول : إنه لا يفهم الأدب — ومنه الشعر — إلا الأدباء ، وأما هؤلاء الأعلام الذين رددوا أسماءهم فهم علماء كل فى ناحيته التي يجيدها : فالأصمعي يحذق معرفة الغريب من ألفاظه اللغوية ، والأخفش رجل نحوى لا يعرف إلا الإعراب ، وأبو عبيدة قد تخصص فى معرفة السير وأيام العرب وأنسابهم . أما المتذوقون للشعر القادرون على نقده من الناحية الفنية فهم طائفة الأدباء الكتاب .

ودليل آخر يؤيد ما نذهب إليه فى فهم هذه العبارة هو قول الجاحظ فى أولها : (طلبت علم الشعر ..) والجاحظ عالم أديب يعنى ما يقول ، ويستطيع أن يفرق بين الشاعر وبين العالم بالشعر

ولو أراد الجاحظ الموازنة بين الشعراء لم يفته ، وهو الخبير ، أن يذكر أسماء فحول الشعراء لا أساطين العلماء .

ودليل ثالث : هو أن الباب الذى عقده ابن رشيق قد جعل له عنواناً (باب فى التصرف ونقد الشعر[3]) ونحن مضطرون لأن نورد من هذا الباب ما يؤيد قولنا .

(١) المقدمة « ا » والعمدة : ج ٢ ص ٨٤ مطبعة السعادة ١٩٠٧
(٢) المقدمة « و »
(٣) العمدة : ج ٢ ص ٨٣

حكى الصاحب بن عباد فى صدر رسالة صنعها على أبي الطيب ، قال : حدثنى محمد بن يوسف الحمادى ، قال : حضرت بمجلس عبد الله بن طاهر وقد حضره البحترى فقال : يا أبا عبادة أمسلم أشعر أم أبو نواس ، فقال : بل أبو نواس لأنه يتصرف فى كل طريق ويبرع فى كل مذهب إن شاء جدّ وإن شاء هزل ، ومسلم يلزم طريقاً واحداً لا يتعداه ، ويتحقق بمذهب لا يتخطاه . فقال له عبيد الله : إن أحمد بن يحيى ثعلباً لا يوافقك على هذا ، فقال : أيها الأمير ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه ممن يحفظ الشعر ولا يقوله ، فإنما يعرف الشعر من دفع إلى مضايقه ، فقال : وريت بك زنادى يا أبا عبادة ! إن حكمك فى عميك أبي نواس ومسلم ، وافق حكم أبي نواس فى عميه : جرير والفرزدق ؛ فإنه سئل عنهما ، ففضل جريراً ، فقيل : إن أبا عبيدة لا يوافقك على هذا ، فقال ليس هذا من علم أبي عبيدة فإنما يعرفه من دفع إلى مضايق الشعر !

والخلاصة أن الجاحظ والصاحب وابن رشيق لم يفضلوا ابن الزيات وابن وهب وغيرهما من الكتاب على الشعراء فى إحكام صنعة الشعر ، وإنما فضلوهم على العلماء فى نقد الشعر .

وإن أردت المزيد فاقرأ قول ابن رشيق فى باب آخر أسماه : (باب فى أشعار الكتاب) قال : « وليس يلزم الكاتب أن يجارى الشاعر فى إحكام صنعة الشعر لرغبة الكتاب فى حلاوة الألفاظ وطيرانها ، وقلة الكلفة ، والإتيان بما يخف على النفس منها . وأيضاً فإن أكثر أشعارهم إنما يأتى تظرفاً لا عن رغبة ولا رهبة فهم مطلقون مخلون فى شهواتهم ، مسامحون فى مذهبهم إذ كانوا يصفون الشعر تخيراً واستظرافاً[1] » .

ولنا بعد هذه الملاحظة ملاحظة أخرى تلك هى مسألة القوافى وترتيبها فى الديوان ، فقد سلك فى بعضها مسلكا غير المتفق عليه عند العروضيين وعلماء القافية ، ووضع بعضها فى غير موضعه ، وقد يعتذر عنه بأنه نقل ألقاب القوافى وترتيبها كما وردت فى الأصل الذى اعتمد عليه ، ونقل عنه .

وهذا الخطأ فى أول الديوان وفى أواخره . من ذلك أنه جعل الشعر الذى أوله :

من يكن رام حاجة بعدت عنه * وأعيت عليه كل العياء

(١) العمدة ج ٢ ص ٨٨

والذى أوله :

جمع الله للخليفة ما كا ن حواه لسائر الخلفاء

من قافية الألف ، وهى ليست كذلك ، وإنما القافية الهمزة والقصائد تنسب إلى الحرف الذى بنيت عليه ، وهو الروى ، فيقال قصيدة دالية أو رائية أو ميمية وهكذا إذا كان الحرف الذى بنيت عليه دالا أو راء مثلا ، أما الألف هنا فهى ردف والردف هو حرف مد قبل الروىّ .

ومن هذا أن فى الديوان خلطاً عجيباً فيما سماه قافية الهاء فقد جمل منها كل شعر آخره هاء ، وإن لم تكن الهاء رويا ، فنى :

ما أعجب الحب فى مذاهبه ما ينقضى القول فى عجائبه

القافية الباء لا الهاء ، وقوله :

وعائب عابنى بشـيب لم يعد لما ألمّ وقته

قافيتها التاء لا الهاء وفى :

ظالم ما علمته معتد لا عدمته

كتلك ، وفى :

يا يمن يومى وغده ويمن ما بعد غده

القافية الدال لا الهاء . والقصيدة التى أولها :

يا ذا الذى لا أهجره وعلى القلى لا أعذره

قافيتها الراء لا الهاء ، والتى أولها :

أبكى الفتى بعد الخليط صرمه وكاد وجد القلب منه يصرعه

قافيتها العين ، ومثلها :

قولا لأنف وقزعه أخطا كا وزن سبعه

والقصيدة التى كتبها إلى الحسين بن المرزبان النحاس :

فديتك إن انبساطى إليـ ـك على بأخلاقك الطاهرة

والتى أولها :

ألا من عذير النفس ممن يلومها على حبها جهلا ألا مَن عذيرها

كلتاهما هائية القافية . ومن قافية الفاء قوله :

من العين طرفه ومن الظبى ظرفه

وقوله :

قل لعيسى أنف أنفه أنفه ضعف لأنفه

وقوله :

إن الخلافة أصبحت سراؤها مجلوبة وشرورها مصروفه

ومن قافية اللام :

أخنى علىّ الدهر كلكله وعدا (على) عيشى فبدله

ومن قافية النون :

نزلت بالخائنين سنه سنة للناس محتمنة

وقوله :

ما للغوانى من رأين برأسه بقعا مللن وصاله وشثينه

ومن قافية الميم :

سقيا لنضر الوجه بسّامه مهذب الوالد قمقامه

ومن قافية الياء :

وللنفوس وإن كانت على وجل من المنية آمال تقويها

وقوله :

ما باله وابنه لم يزوجا عربيه

وقوله :

الآن قام على بغداد ناعيها فليبكها لخراب الدهر باكيها

وقوله :

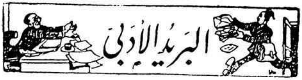
إنك منى بحيث يطرد النا ظر من تحت ماء دمعتيه

والهاء فى كل أولئك القصائد التى ذكرنا مطالعها إنما هى وصل سمى بذلك لوصله بالروى ، والوصل كما عرفه علماء القافية حرف لين ناشئ من إشباع حركة الروى أو هاء تليه .

وأعتقد أن مثل هذا الأمر لا يخفى على فطنة الأستاذ الصديق الأديب ، وأعتقد أيضاً أن العجلة وحدها هى التى فوتت عليه الإشارة إلى الأخطاء التى وقع فيها جامع الديوان فى الشروح والتعاليق التى ذيل بها على شعر ابن الزيات .

وبعد ، فهذه هنات هينات ، لا تغض بحال من قيمة العمل الأدبى الجليل الذى اضطلع به الأستاذ الأديب .

بدوى أحمد طبانه



برلمان الأمم العربية :

يرى الأستاذ السيد علي الشوربجي في العدد الأخير من الرسالة أن فكرة برلمان الأمم العربية خيالية ومستحيلة . أما أنا فلم أخترع الفكرة بل اقتبست نظرية موجودة الآن بالفعل وما من عملية إلا كانت في الأصل نظرية .

ففكرة الحكم الجمهوري نشأت من قديم الزمان في ذهن الإنسان وتصورها أفلاطون وجربها اليونانيون ففشلت ومازالت تجرب حتى تحققت ، وصار الآن معظم أمم العالم جمهوريات ، ولا ينقضي قرن حتى يعم الحكم الجمهوري العالم كله بلا استثناء،وأخيراً يصبح كله جمهورية واحدة لأمم متحدة .

الولايات (المتحدة)الأمريكية لم تكن متحدة تحت الحكم البريطاني ولكن لما تحررت من هذا الحكم اتحدت في ١٣ولاية والآن صارت ٥١ ولاية . وقس عليها سويسرا وكندا .

وما قول الأستاذ في برلمان إحدى عشر دولة أوربية انعقد في الشهر الماضي؟— فهل يرى الآن أن ما استحال في نظره صار ممكناً — وهل يتعذر عليه تصوره كما يتعذر عليه تصور برلمان دولي عربي ؟

أنا لم أقترح اتحاداً تاماً كاتحاد الولايات الأمريكية ، وإنما اقترحت اتحاداً عسكرياً حربياً فقط لا نجاة بدونه للدول العربية من غارات إسرائيل التي يهددنا بها إسرائيل من اليوم . وكل آت قريب . وإذا كنت قد اقترحت أن يتولى هذا البرلمان سياسة الدول العربية الخارجية فلأني أخاف من تدخل الدول الأجنبية الذي كان ولا يزال سبب هزيمتنا الفاضحة في حرب فلسطين

فإذا كانت سياساتنا الخارجية يتعذر عليها الخضوع لهذا البرلمان في بادئ الأمر فلا بأس في أن تبقى كل دولة مستقلة فيها تحت شرط أن لا تسمح للدول الأجنبية أن تمد أحابيلها إلى هذا البرلمان وتفركته .

ثم إن الأستاذ لا يمكنه أن يتصور الدول العربية تنزل من سلطتها الدفاعية لبرلمان الجامعة . وأنا أقول له إن الدول العربية لا تقوم لها قائمة لدى الخطر الصهيوني المقبل إلا إذا تنازلت عن سلطتها الدفاعية لبرلمان يمثلها جميعاً، كما أن الولايات الأمريكية تنازلت عن سلطتها الدفاعية لوزارة الدفاع في وشنطون . لا تستطيع أن تتصور هذا التنازل لأنك مأخوذ بحكم الحاضر. ولكن حكم المستقبل يسهل لك هذا التصور. وإذا أمكنك أن تتصور الخطر الماثل الذي يهددنا به وزير إسرائيل بن غريون أمكنك أن تتصور ضرورة اتحاد الدول العربية في برلمان حربي دفاعي وإلا فاليهود ينفذون ما يقولون . ولا يردهم عن التنفيذ إلا قيام هذا البرلمان . وهم يقولون بصراحة إن ما يفعله العرب في عام نحن نفعله في يوم . فإذا لم نفعل نحن في يوم ما يفعله اليهود في عام تغدونا قبل أن نتعشاهم . فأرجو منك أن توسع دائرة تصورك حتى تشمل هذه الحقائق ولا تكن مثبطاً للعزائم .

ثم إن الأستاذ لا يمكنه أن يتخيل الدول العربية تستطيع أن تدفع من ميزانياتها ذلك المبلغ الضخم الذي لا يقل عن مائتي مليون جنيه (والمقترح هو مائة مليون أولا تزاد سنة بعد سنة حسب اللزوم) . ولكن إذا لم تدفع الدول العربية هذا المبلغ فستدفعه رغم أنوفها وتدفع أضعافه يوم يستوي الأمر في دولة إسرائيل وتصبح سيدة العرب ومالكة رقابهم وبترولهم ووو الخ

وإذا كانت مصر قد أنفقت في نصف سنة في حرب فلسطين أكثر من ستين أوسبعين مليون جنيه أفلا تستطيع الدول العربية كلها أن تجمع مائة مليون للدفاع عن استقلالها واتقاء عبوديتها لإسرائيل ؟

تركيا تعد ١٤ مليوناً من النفوس وميزانية دفاعها تستغرق نصف ميزانيتها لأنها مجندة مليون جندي ولأنها رأت أنها إذا لم تفعل هكذا وقعت بين براثن روسيا وهي على مرمى حجر منها .

يا صاحبي لما وقعت الحرب الكبرى الأخيرة عبأت إنجلترا كل رجل وامرأة للعمل للحروب ورصدت كل إيراد الشعب الإنجليزي للنفقة . ولولا هذا لوقعت تحت سنابك خيل الألمان . فهذا المبلغ المائة مليون أو المائتان الذي اقترحته ليس ضخماً ياعزيزي بل هو قطرة من بحر النفقات الحربية . فكانت إنجلترا تنفق في الحرب كل يوم ١٤ مليوناً من الجنيهات وأمريكا تنفق أكثر من ستين مليوناً منها .

إنهـا لمبالغ ضخمة حقاً كانت تذهب إلى دولة الشيطان .

فلا تتعجب ياعزيزى . ولعلك لم تر بعد عِبر هذا الدهر فلا تستطيع أن تتصور الآتى منها . وماذا تفعل والجنس البشرى قد بطر بل جُن ، فهو من باذخ مدنيته يقذف بنفسه إلى وادى الهـلاك — الدنية تنتحر —

إن ما تراه يا سيدى مستحيلاً يجب أن يكون واقعاً . وإذا بقينا نتخيل الواجبات إلى أمامنا مستحيلات واليهود يتصورونها ممـكنات فلا ريب أننا فاقدون استقلالنا وديننا وأخيراً حياتنا .

وأخيراً أقول لك إذا لم تعمل الأمم العربية كلها لهذه الغاية وتنشئ هذا البرلمان وتسلمه كل السلطة الحربية وتزيل من أمامه كل الصعوبات الداخلية والأجنبية فلا حياة لها . فلتؤبن نفسها منذ اليوم وتبـكى حظها .

لو ذكرت لى من أسباب استحالة هذا المشروع الخيانات العربية التى شهدناها فى هذه الأيام وما نـكبت به الجامعة العربية من خيانات وأشباه خيانات لصدقتك وقلت هذا المشروع مستحيل . نعم بهذه الخيانات يستحيل هذا المشروع . ولـكن هل فقد الوجدان العربى قوة التقدير لإمكانيات المستقبل ؟ هذا ما يحيرنى ... والسلام عليك .

٢ ش البورصة الجديدة القاهرة **نقولا الحداد**

ابنة الله وعين الله :

فى البريد الأدبى للعدد ٨٤٣ من « الرسالة » كلمة من الأستاذ دسوق ابراهيم حنفى يسألنى فيها جلاء ما غمض عليه فى العبارتين الواردتين فى مقال لى فى مناجاة الشـمس وهما . « يا ابنة الله » و « يا عين الله » .

إن للنجوى لغتها التى تختلف عن لغة الناس ، وشررها الذى يتطاير من الوجد ، وضبابها الذى هو سر قوتها وجمالها ، وليس من السهل أن نهبط بها من سمائها إلى حيث تخضعها المقاييس والموازين التى نعرفها ونضـعها على مائدة التشريح نقطع ونحلل ما شاء التقطيع والتحليل ، فنفقدها الـكثير من قوتها ومعناها .

إن لها رعشة لما صورها التى قد لا تجد لها إطاراً توحى بها أطياف وأطياف لا نعرف من أمرها إلا أنها مرت بنا وأملت ما شاء لها خيالها أن تملى ...

كنت مأخوذاً بالشمس وسـلطانها يوم ناجيتها ، وأصبت بدوار الإعجاب ، وتهافتت علىّ الصور أشكالا وألواناً ، ومنها الصورتان اللتان حملهما إلىّ السائل مستوضحاً ... فما ذا أقول له ؟ وكيف أوضح هـذا الذى يراه غامضاً ؟ ... كل ما لدىّ الآن للايضاح أن الـكائنات — والشمس منها — تنبثق عن الخالق فهى مواليده . ولقد تخيل الله الخليقة قبل خلقها فكانت الشمس واحدة من بنات خياله . أما أن الشمس (عين الله) ، فإن لله عيوناً والشموس منها ترعى الوجود . وهل الرعاية إلا الرفق والرحمة يتجليان فى النور والشعاع . إن الله هو النور لا يرى غير النور ، فـكيف لا تكون الشمس عين الله ؟ !

راجى الراعى

اللغة فى الإذاعة :

إن المذياع مفصاح فضاح يرسل على الأثير الصوت مبيناً نغماته ونبراته فـكان لا بد من الاتئاد قبـل أن يئود اللسان الثقل ، وتراوده الخطأة ، فينزلق إلى الجهلة ! ونحن لا نتجنى على أحد حينما نشير إلى عدم العناية بضبط الألفاظ ، فى إفرادها ، وإغفال قواعد الإعراب ، وبخاصة إذا تنكب الجادة فيها « الخاصة » ! وما دامت مصر اللسان الناطق بالعربية الخالصة وجب أن تضرب المثل الأعلى فى المحافظة على حفاظها !

وإنا ليعجبنا صنيع مذيعى الإذاعات العربية فى الأقطار الشقيقة لشدة تمسكهم باللفظ الوغل فى عربيته ، من دون ارتضاخه بعجمة مدخولة ؛ فقد سمعنا مذيعاً يقول : لقد تقدم الجيش فى منطقة كذا بكسر الميم ، بينما يصر المصرى على فتح الميم وكسر الطاء بقدرة قادرة ! ...

ولا يغيب عنا قول أحدهم : نذيع (آذان) الظهر وخطبة الخطبة ؛ فيبدل الأسماع مكان الإسماع ! ويحيل الإعلام إلى السامع !

أما لغة المحاضرات ؛ فبينها وبين الإبانة السليمة عداء مستحكم ، ما عدا الطبقة الممتازة من أدباء وعلماء العربية ؛ فما مرد هـذه الظاهرة الأليمة ؟ لا نعتقد أن المحاضرين على غير علم بالضوابط اللفظية والإعرابية ، فالمفروض فيهم الثقافة التى تخول لهم على أقل تقدير إجادة ما يقرأون ، لـكنا نرد هذا التقصير إلى عـدم العناية ، أو إغفال الذهن حين القراءة ، أو إغفال أن هناك مستمعين إلى خطايا الأخطاء !

ومن المؤسى تفصح المذيع أو المحاضر إذا أراد التعبير بلغة ذات عجمة ، فإنه يرق الحروف ، ويدققها ، ويخشى أن تفلت من لسانه فلتة تكون سبة ، اعتقاداً منه أن التزامه مخارج الحروف يشير إلى سمة ثقافته !

إن اللغة الإذاعية يجب أن تنأى عن المؤاخذة ، فالأداء الصحيح سبيل الإيضاح ، وليس هناك ما يضير المذيع أو المحاضر في معاودة قراءة محاضرته أو إذاعته ، وكل من في الإذاعة مثقف ثقافة عالية ترتفع به عن اللثاثة والركة والأغلوطة ! ...

وبعد ؛ فليس لنا مطمع في الإذاعة حتى نذيع عنها التقصير ، وإنما نعمل على التنويه في مقام التنبيه حتى تصل إلى مرتبة الكمال .

(بورسعيد) **أحمد عبد اللطيف بدر**

إلى الدكتور م شهاب (باريس) :

قرأت كتابك يا صديقي رغم مشاغلي المتعددة ، ولكني أرجأت الكتابة عنه ريثما أعود من سفري ليتيسر لي الاستيثاق من بعض المراجع التي يتعذر علىها الحصول هنا .

ولي بعض ملاحظات أرجو أن أرسلها في خطاب خاص بعد أن توضح لي عنوانك بالكامل .

ولا يفوتني أن أشكر لكم هذه الأريحية الكريمة التي أبديتموها نحوي ، وقد سرني أن يكون لمقالاتي في الرسالة خلال شهر مايو ويونيه من هذا العام عن (قضايا الشباب بين العلم والفلسفة) ، ذلك الأثر الحيد في نفوس إخواننا الشرقيين . وما ذكرت من تغير عقيدة بعضهم وتبدل نظرتهم لتلك الفلسفة المنحرفة المتطرفة ... مما أثار صديقك الفرنسي وزملاءه لدرجة القيام بترجمتها و « العمل على نشرها في فرنسا كمثال لما يمكن أن تستقبل به الفلسفات (الحديثة) في الشرق العربي عموماً والإسلام على الخصوص ... » الخ

ولسنا نمانع في ذلك يا صديقي — بل إنا نرحب به — ما دمت تعرض علينا تلك الترجمات قبل نشرها أولا بأول .

أما سبب ذلك التركيز الذي رأيتم في مقالاتي تلك فهو ضيق المقام ثم الظروف التي كتبت فيها ذلك البحث ؛ فقد لبيت به دعوة من كلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول وجهتها إلى جماعة الأبحاث النفسية بها « لإلقاء محاضرة من الشك كاحدى المراحل النفسية » وعقب إلقاء المحاضرة في يوم ٤ مايو الماضي — قام بعض أساتذة كلية الآداب من المتعصبين لسارتر وأثار جدالاً رأينا معه نشر البحث — من غير ما زيادة أو نقصان — لتعم فائدته من جهة وليكون المجال أرحب للأخذ والرد فيه من جهة أخرى ، ولم نر أحق بهذا وأجدر من حبيبتنا (الرسالة) منبر الشرق العالي فآثرناها بتلك المقالات التي انتظمت محاضرتنا المذكورة .

وأظنك معي الآن في أن المجال لم يكن مجال شرح وتفصيل بقدرما كان مجال إيجاز واستيعاب ، فإن هذا الموضوع من السعة والخطورة بحيث تضيق به المجلدات فضلا عن محاضرة أو بضع مقالات . إلا أني قد راعيت ذلك وتلافيته في كتابي (الاتجاهات الدينية في الفلسفة الحديثة) الذي هيء الجزء الأول منه للطبع في أقرب وقت مستطاع .

هذا وأرجو أن يمينني الله سبحانه على تحقيق رغبتكم وسائر الأصدقاء بمواصلة الكتابة في (الرسالة) من هذا الموضوع عقب عودتي إلى مصر إن شاء الله وبقيت في العمر بقية .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فلنسيه — إسبانيا **ابراهيم البطراوي**

دراسة الأدب المعاصر :

هل هناك برنامج محدد الأهداف موفق الخطوات لدراسة الأدب المعاصر؟ سؤال خطير يستأهل النظر والاهتمام . وخطورته تنجم عن المشاكل التي ستثار في الكليات التي تعنى بدراسة الأدب العربي . فإن تلك الكليات لم تمن بدراسته في وقت من الأوقات ، وقد مضى زمن كان حرياً بأن نرى الأدب المعاصر قد أخذ حيزه في مناهج تلك الكليات — ويرى كثير من الأساتذة أن هذه الدراسة لابد منها لأسباب : فأدباؤنا المعاصرون حريون بأن تدرس آثارهم الخالدة ؛ ذلك لأن عصرنا هذا يعتبر من أزهى عصور الأدب العربي ، وهم — بحق — دعامة النهضة الأدبية الحديثة . وأتقدم في هذا المقام باقتراح وهو أن تنشأ شعبة خاصة لدراسة الأدب المعاصر في كل كلية من الكليات الثلاث التي تعنى بدراسة الأدب العربي — اللغة العربية — دار العلوم — الآداب — وأرى فوق ذلك أن تكون الدراسة موحدة في تلك الشعب . وجدير بعمداء تلك الكليات أن يدعوا الأساتذة الأعلام إلى إلقاء المحاضرات ليكون الطلبة على اتصال بالحركة الفكرية المعاصرة .

(دمنهور) **على منصور عبد الرازق**

الكتب

يوم وليـــــلة

تأليف الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

بقلم الأستاذ صبحي ابراهيم الصالح

ليس الطريف في هذا الكتاب عنوانه المشوق ، وإنما الطريف فيه حقاً أسلوبه القصصي التاريخي الممتع الذي وصف به مؤلفه الفاضل الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل (*) خلافة ابن المعتز التي ضرب بها المثل في القصر .

وأحسب أن لو كان مؤلف هذه القصة التاريخية كاتباً معروفاً أو أديباً مشهوراً لأسرع النقاد يمدحونه ويتملقونه لتقترن أسماؤهم باسمه ، أو يلتمسون عثراته ويخالفونه ليشتهروا بذمه ؛ ولكن كتاباً ككتاب (يوم وليلة) وقد وضعه أديب غير مشهور ، لا يحظى من تحليل النقاد بحظ وفير !

على أن دار العلم للملايين في بيروت كانت أكثر تقديراً للكاتب الفاضل ، إذ تكفلت بكتابه فطبعته آنق طباعة وألطفها ، على أصقل ورق وأنعمه ، كما نشرت له منذ عام بحثاً طريفاً جامعاً حول (النكتة المصرية) كان له صدى في الأوساط الأدبية اللبنانية . وأريد اليوم لأكون أحد المعترفين بفضل هذا الأستاذ فأظهر الناس على أدبه الرفيع ، وأطلعهم على علمه الغزير ، وإن كنت لم أجلس إليه في ناد ، ولم أقابله في زيارة : فإن قلم الكاتب لسان عقله وتفكيره ، ووحي قلبه وشعوره .

***

لا ريب عندي في أن هذا الكتاب الذي يمكنك أن تقرأه في جلسة واحدة وأنت مستمتع بجمال عرضه ، وجزالة أسلوبه ، ورصانة تعبيره ، قد كلف الأستاذ عبد العزيز عناء طويلاً وجهداً ثقيلاً ، فلقد حاولت من قبله أن أعلم شيئاً يغني عن خلافة ابن المعتز ، ففتشت بطون الكتب كما فتش ؛ واستقصيت في الطلب كما استقصى فلم أجد — كما قال الأستاذ في مقدمته — « كتاباً واحداً ولا كتابين ولا ثلاثة ولا عشرة تسعدني بما تمنيت » وأدركني الملالة فانصرفت عن هذا الموضوع إلى سواه .

أما الأستاذ فلم يعرف الضجر ، وإنما زاد في الاستطلاع وما انفك يزيد حتى أربى على الستين كتاباً ، ثم تتبع الأخبار المبثوثة في طوايا هذه الكتب فإذا هي متفرقة متمزقة كأنها الأشلاء المبعثرة بأطراف الصحراء !

وأني لواثق أنه ما كان لقصة ابن المعتز أن تستحكم حلقاتها لولا أن الأستاذ قد غامر فتنقل فعلاً « بين طوائف شتى من كتب التاريخ والطبقات والأدب والفقه والمُلَح والدواوين » فاستطاع بهذا التنقل الفكري المرهق أن يريح قارىء قصته ، إذ أوضح له خفيات الأمور ، وتطوع بنفض الغبار عن كثير من الحقائق ، حتى ليظن أولئك الذين تعودوا أن يقرأوا غير محتكمين إلى العقل والمنطق أن ليس في الكتاب عناء البحث ولا وعورة المسلك ، لاتخاذ الكاتب طريق القصص الذي يبدو سهلاً لمن يراه ، ولا يعرف صعوبته إلا من عاناه .

ومن المعروف لدى المشتغلين بأدب القصة وتقدها أن الأسلوب القصصي حين يعتمد على الخيال الخالق وحده في تأليف الحوادث وربطها ، أو حين يعتمد على التاريخ الصادق وحده في رواية الأخبار وجمعها ، لا يعترضه من العقبات ما يعترض القصاصي الذي لا غنى له من الجمع في آن واحد بين ما ارتضاه من خيال وما صدقه من تاريخ . وأكثر ما يكون ذلك في القصص التاريخية التي تدور حول فتنة حمراء لعب المؤرخون فيها دور الجبناء ، خوفاً من سطوة القادر ونفوذ الحاكم وعنت الجبار .

وخلافة ابن المعتز التي تقرأ وصفها في كتاب (يوم وليلة) كانت فتنة اندلعت ألسنتها بسرعة وسكت فضبها بسرعة ، لكنها — رغم استحالة جرها إلى رماد — أخافت كثيرين من التصدي لأخطارها لئلا يحترقوا بنارها ، ولتجدن أكثر الذين عاشوا في في هذه الفتنة وبلوا أخبارها قد أفضوا بذات أنفسهم إلى معاصريهم

(*) المدرس الأول بوزارة المعارف المصرية ، ومندوبها للتدريس بالكلية العاملية في بيروت

لكنهم أبوا أن يدونوا لمن بعدهم شيئاً مذكوراً يكشفون به مسدل الأستار ، ويذيعون به خفي الأسرار؛ ولولا كلمات مبثوثة هنا وهناك على ألسنة الوزراء والندماء والقواد والقضاة والتجار والسوقة لاندثرت معالم هذه القصة ولما استطاع الخيال أن يرتكز في وصف حوادثها إلا على أسطر قليلة لا تغني من الحق شيئاً .

وهنا تظهر مقدرة الكاتب بوضوح ، فلقد عرض القصة عرضاً فنياً ، وسبح في جوها سبحاً طويلاً . وقد خاف أن يأخذ عليه النقاد ابتعاده بالقصة عن وجهها الحقيقي فقيد نفسه بقيود كثيرة ، وألزم قلمه ألا ينطلق إلا فيما تدعو إليه حلقات القصة لتكون قوية التماسك وثيقة الإحكام ...

***

وأشهد أن الأستاذ كان موفقاً في ما حبس به نفسه وفي ما أطلقها فيه ؛ بل إن في ما زاده من حوار بين الأشخاص أو تمهيدات بين يدي الأحداث لبراعةً نادرة تجعل القارىء يظن نفسه أمام قصة محبوكة الأطراف قد وثق الزمن ذاته عراها ولم يترك للخيال في نسجها يداً .

وإن كاتباً هذه مقدرته في خلق الحوادث خلقاً يوشك أن يكون طبيعياً حرى أن يخرج لنا كتباً كثيرة عن بعض أدبائنا الأقدمين وعلمائنا السالفين الذين لم يسعدنا طول البحث بالتعرف إلى آرائهم وتحليل نفسياتهم . وإن هذه لخدمة جلى يستطيع الكاتب وأمثاله ممن أوتوا موهبته أن يسدوها إلى عشاق العربية من أبناء هذا الجيل .

وما برحت موقناً بأن جمال العرض وقوة الأسلوب هما عامتا العمل الفني في حياتنا الأدبية : فبمقدار ما نُعنَى بهما تعلو قيمة إنتاجنا ، وتستحق من الخلود .

وحين أذكر قوة الأسلوب هنا لا يسعني إلا أن أهنىء الكاتب من صميم قلبي على تعبيره الرصين ، وألفاظه الجزلة ، وجمله المحكمة ، وطول نفسه للاحتفاظ بوحدة الفكر . وتلك مزايا أدبية لا نكاد نجدها مجتمعة حتى في أساليب بعض المشهورين من كتابنا في مصر والشرق العربي ؛ ومن خيل إليه أن في حكمي هذا شيئاً من المبالغة فليقرأ الكاتب بنفسه وليطالعني برأيه .

ولقد نأخذ على المؤلف بعض مآخذ فنية ، فنرى أنه أطال حواراً كان في مكنته اختصاره ، أو أنه أوجز في فصل كان يستحسن فيه الأطناب ، أو أنه اهتم بعض الشيء بأشخاص ليسوا من أفلاذ الفتنة ، أو بأحداث ليست في صميم القصة ؛ لكن هذه المآخذ — لقلتها وضآلتها — لا تغض من قيمة هذا الأثر الفني الرائع الذي ما أشك في أن صاحبه انفق عليه من الليالي الساهرة مثلما كان ينفق الرسام الذي يبني الخلود ، أمام لوحة يريد أن يبهر بها الوجود .

وأنك لتستطيع أن تقرأ نظرة الكاتب إلى الحياة من خلال الأحاديث التي أنطق بها أشخاص قصته ، فلقد أشفق على ابن المعتز في ضعفه ، ولقد شمت به في غروره ، ثم عاد يترحم عليه بعد مماته . وحِكَم الكاتب التي زين بها كتابه بدت طبيعية في أحاديث الأشخاص إلا في مواضع قليلة ظهرت فيها مقحمة كأن صاحبها يتكلف الموعظة ، ويصطنع أداء الحكمة .

***

ولكن ... مهما يكن من شيء فهذا الكتاب الصغير الحجم عظيم الفائدة ، حتى لا أظن متأدباً ولا أديباً يستغني عن اقتنائه إذا كان يريد أن يلم بمعظم ما يمكن أن يُعلَم عن خلافة ابن المعتز .

ولا بد لي — قبل أن أختم مقالي — من الاشارة إلى هفوة نحوية لم أقع على سواها في سائر الكتاب رغم إمعاني في قراءته : فقد قال الأستاذ في ص ٧٩ (وهرب بعضهم إلى دار ابن المعتز لملواصه ، الأمونس الحاجب وخاصة رجاله وغريب خال المقتدر) وواضح أن هذا سهو أو سبق قلم ، وإن الصواب أن يقال : ألا مؤنساً .. وخاصةَ .. وغريباً .. لأن المستثنى بالا يجب نصبه إذا كان ما قبلها تاماً مثبتاً .

واغتنم هذه الفرصة لافتتح — صفحات الرسالة الزهراء — صداقة أدبية خالصة مع الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل مؤلف هذه القصة التاريخية ، مهنئاً وزارة المعارف المصرية بمؤلفها الفاضل ، راجياً من حضرته أن يسرع بإتحاف المكتبة العربية بكتابه الجديد (ابن المعتز أدبه وعلمه) الذي وعد بإصداره قريباً وفي انتظار كتابه الموعود لي كبير الأمل في إقبال قراء الرسالة على (يوم وليلة) ليعرفوا الأشخاص بالأدب ، لا الأدب بالأشخاص .

(طرابلس الشام) **صبحي ابراهيم الصالح**

فن الخطـــابة

تأليف الأستاذ أحمد الحوفي

بقلم الأستاذ ابراهيم الجعفراوي

الأستاذ الحوفي ليس بمجهول لدى قراء الرسالة الغراء ؛ فقد قدمه إليهم الأستاذ محمود الخفيف منذ بضع عشرة سنة — وكان يومئذ طالباً بدار العلوم — منوها بباكورة أبحاثه وحى التسبيب في شعر شوقي — ثم تخرج الأستاذ، وتوالت الأيام، وأخذت الرسالة تنشر له بعض الفصول عن شوقي .

وفن الخطابة الذي نقدمه اليوم، هو باكورة أيضاً لعمل الأستاذ الجديد في دار العلوم، والكتاب ثمرة جهد عظيم بذله الأستاذ رغم عمله المرهق، واشتغاله ببحث يعده للحصول على درجة جامعية .

وليس أدل على قيمة الكتاب مما سطره القلم البليغ — قلم الدكتور ابرهيم سلامة — في تقديم الكتاب : ويمكن أن أقول إن الكتاب أول في نوعه من بين المؤلفات الحديثة التي تعرضت للخطابة.. إلى أن يقول بعد أن تعرض لقارىء الاستفادة، وقارىء الاستزادة : وما ينتظره كل منهما من المؤلف .

على أن قارىء الاستفادة، وقارىء الاستزادة أمام كل مؤلف يحسب اقرانه وجودهم، كلاهما يريد أن يخرج بجديد، فالمستفيد من القراء يعلم مالا يعلم، ويضيف جديداً إلى ما يعلم، ويمحو خطأ مما علم ؛ ليحل الصواب محله بعد القراءة . والمستزيد يعرف في سهولة ما سبق أن عرفه في جهد ؛ لأن المؤلف عرض له مايعرف عرضاً فنياً فيه — زيادة — على المعرفة — الايحاء، باستزادة، والانتفاع باللذة العلمية، فـلذة المستفيد المعرفة المحضة، ولذة المستزيد في أن يلمح إلى جانب المعرفة الحياة، وحركات الأفكار ؛ لأن المؤلف فناً في العرض وفناً في الأسلوب، وفناً من دقة البحث، وفنوناً من الإثارة والإغراء، تدفعه إلى أن يقرأ ما يعلم، ويستلذ ما سبق له أن عرفه .

هذا سر المؤلفين الناجحين، وهنا سر النجاح في التأليف لمن يكتبون في موضوع سبق البحث فيه . والاستاذ أحمد الحوفي قد كشف عن كثير من عناصر هذا السر .

وقارىء الكتاب يدهش لهذه المادة الغزيرة، والأحاطة بكل أطراف الموضوع، فهو مقدم بكلمة عن تعريف الخطابة، يليها فصل عن الخطيب، تحدث فيه عن الاستعداد الطبيعي . والوقفة والاشارة، واللسن، والعلاقة بين الخطيب والشاعر والممثل، وأتبع ذلك بفصل ضاف عن نشأة الخطابة ورقيها، وآخر عن نفسية الجماعة وملك الخطيب بجوها، ثم تعرض لأنواع الخطب، وناقش التقاسيم المختلفة، وأسهب في الكلام عن الخطب السياسية والقضائية والحربية والحفلية، والدينية . يلي ذلك فصل عن الأسلوب الخطابي وخصائصه، استهله بالكلام على مذهبي الأسلوب والمعنى . والمقارنة بين أسلوب الخطبة، وأسلوب المقالة، ثم أعقب ذلك بفصل عن الارتجال والإعداد، ومزايا كل وعيوبه ومواضعه .

وختم المؤلف كتابه بفصل عن الخطابة في تصور الأمم : عند اليونان والرومان والعرب والمحدثين .

هذا عرض سريع لفصول الكتاب القيمة أردت منه أن يتعرف القارىء الكريم على مادة الكتاب، وكيف يسير المؤلف في بحثه متعمقاً مستقصياً مما يدل على أنه قد رجع إلى كثير من المراجع .

ولعلي أرجع قريباً إلى هذا الكتاب، فأتحدث عن بعض فصوله بالتفصيل والنقد .

ابرهيم الجعفراوي
دبلوم معهد التربية العالي
مدرس بمدرسة الجيزة الابتدائية للبنات

مطبعة الرسالة